بسم الله الرحمن الرحيم

لفحات من سجن تدمر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين. أما بعد:

بدموع العين وخفق الفؤاد وصمت هنا وأنين هناك، وبأعصاب مشدودة من ألم المصاب، وبيد يهتز القلم بين أناملها فيتوقف تارة ويرسم تارة أخرى صوراً قادمة من هناك. صوراً قابعة في القلب والوجدان و أعمق الأعماق .....أرسم وأخط بدمي وروحي وبيدي: " لفحات من سجن تدمر ".

من خلال هذا الكتاب، أو هذه المذكرات، أحببت أن أوضح لكم الآتي:

1- أتكلم عن تجربة شخصية أنا عشتها بكل جوارحي وأحاسيسي ومشاعري. فهي تجربة واقعية حقيقية وليست من نسج الخيال.

2- أحببت أن أميط اللثام عن هذا النظام المجرم، وأوضح طبيعة وحقيقة هذا النظام. حقيقة حقده الدفين وشدة بطشه وبشاعة انتقامه و خداعه ومكره وطعنه بالإسلام والمسلمين.

3- أنا لا أنتسب الى أي فصيل أو جهة أو جماعة أو حزب، لذلك أنا لا أكتب إرضاء لأي أحد منهم. بل أكتب ما يتوجب عليَّ كتابته تجاه العباد ورب العباد. وأكتب ما عشته، ولامست جراحه شغاف القلب. أكتب بملء الحرية والإرادة.

4- أنا أتبنى وأحمل بكل فخر واعتزاز راية: لا إله الا الله محمد رسول الله بمعناها الواسع والشامل وأدافع عنها بكل ما أوتيت من قوة. وألتزم وأتحمل بمشيئة الله كل ما يترتب عليها من مشاق وتبعات.

5- أكتب ل الإنسان الحر الشريف بشكل عام بغض النظر عن مكانه وزمانه "ولقد كرمنا بني آدم ". أكتب للإنسانية جمعاء، وإن كان للشاب المسلم الملتزم النصيب الأكبر من هذا الكتاب.

أيها السائرون على طريق الحق لا تيأسوا، فقد بدأت من آية " اقرأ "." ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين".

وليد الشيخ نايف

25 رمضان 1441 هـ – 18/05/2020 م

بداية اللفحات

في مدينة حلب

في 1985/1/14، كانت هناك امتحانات للفصل الدراسي الأول في المدارس السورية وكنت أُدرس مادة اللغة الإنكليزية في ثانوية تل رفعت للبنين – حلب . خرجت من قاعة الامتحان واتجهت الى إدارة الهجرة و الجوازات – جانب القلعة – في مدينة حلب للحصول على جواز سفر حتى التحق بالدراسات العليا في بريطانيا بعد حصولي على قبول في إحدى جامعاتها وأيضاً راسلت جامعات أمريكية بهذا الخصوص وقد تقدمت لامتحان التوفل في دمشق عام 1983. وقد تخرجت من جامعة حلب – كلية الآداب – قسم اللغة الإنكليزية عام 1981-1980 . وأنهيت الخدمة العسكرية الإلزامية بعد ذلك مباشرة. فطلبوا مني إدارة الهجرة والجوازات مراجعة فرع المخابرات لأن اسمي: ممنوع مغادرة سوريا . فذهبت بنفسي لمراجعة الفرع ، وما شعرت بنفسي الا وأنا في فرع أمن الدولة – حي المحافظة – مدينة حلب يستجوبونني ويسألوني عن علاقتي بالإخوة: عبد الرحمن بدران وحاتم بدران وعدنان عبود وشعبان عبود و وليد حياني وعن أحمد عبد السلام الصن و زكريا بهلول و عن غيرهم.... ثم رموني في غرفة بعد أن لفقوا لي تهمة: مجموعة مسلحة تتألف من عبد الرحمن بدران و وليد حياني وأنا. أنى لي التسليح ! ولم يجدوا أو يستلموا مني أية قطعة سلاح ؟! لكنها سلطة القوي على الضعيف. صدقاً، كان همَّ المحقق وهدفه هو حكمي بالإعدام، فقط ، يدور ويلف ويضرب ويتهم من أجل أن يوصلك الى تهمة التنظيم المسلح أو التسليح، والتسليح حكمه إعدام. لكن الحمد لله – حمد الشاكرين – أنني لم أجلب أو أُحضر أي إنسان بعدي ولم أعترف بأي شيء ولم أكن سبباً في دخول أي شخص بعدي الى السجن (**الثبات من الله**) . فهم ينتظرون أي كلمة أو تهمة حتى يدخلوا الناس السجن ويتهمونهم بتهم لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

في هذه الغرفة الصغيرة من قبو التحقيق، كان فيها شخصان ، الأول اسمه: محمد زياد آتاسي (أصله من حمص لكن مقيم في مدينة حلب) و الثاني اسمه: بدر الدين صادق من حلب . سألتهم عن سبب قدومهما الى هذا المكان، فقالوا لي باللهجة الحلبية العامية مستهزئين مبتسمين " نشنا جيجة من ع الحدود " (أي سرقنا دجاجة من على الحدود). في فرع أمن الدولة بحلب قاموا بضربي و تعذيبي و

إهانتي في هذا الفرع و عذبوني بالدولاب و غيره وكان لديهم مخبرين بين نفس السجناء و منهم: رشيد كيالي وسامح كيَّال وقد حاول رشيد أن يأخذ مني معلومات كونه كان معي طالباً في الجامعة بنفس الكلية لكنه لم يُفلح والحمد لله. وكان أحد الجلادين من قرية سناره تابعة لمنطقة عفرين وهو كان من يضربني مع العلم أعلمته بأنني كنت مدرس لغة إنكليزية في ناحيته: شيخ الحديد في منطقة عفرين لكن كل هذا لم يشفع لي عنده. كان رئيس الفرع آنذاك : العميد عمر حميدة من حلب- باب النيرب، ورئيس التحقيق: المقدم عمر كيال وهناك شخصين حققوا معي لم أعرفهم وقد أشرفوا على تعذيبي وسمعت بأن أحدهم هو من السلمية – مدينة حماه . آخر التحقيق أخذوني الى رئيس الفرع العقيد عمر حميدة وبرفقة رئيس قسم التحقيق. عدا عن الصور المعلقة على الجدران والمعروف أصحابها من هم فقد كان يضع فوقه آية: " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ". لكنه في الحقيقة كان أهوج ولا يفقه شيئاً. وقال لي ما دخلك في هذا التاجر الوس.......وألا تعرف المرسوم رقم 149 الذي ينص على حكم الإعدام لكل من ينتسب لجماعة الإخوان المسلمين؟ طبعاً، كانوا يضعون على عيوني طماشة. لكن أثناء مقابلة رئيس الفرع كنت بلا طماشة. وأثناء التحقيق معي تزحلق أحد المحققين وذكر لي أسماء أحد المخبرين للفرع من تل رفعت وقال لي هل تعرف فلان:........قلت: نعم أعرفه جيداً وكنّا نلعب كرة القدم سوية. قال لي هذه الكلام لأنه ظن بأنني سوف أذهب الى سجن تدمر ولن أخرج منه أبداً.

أنا لم أصدق ولم أتصور ماذا يحدث لي و ماذا يجري لي ! أنا لم أرتكب جريمة و ليس لدي سلاح و لم أحمل سلاح وليس لدي أي شيء يهدد أمن الدولة أو المواطن ولم أرتكب أي جناية حتى أحاسب عليها ! وبنفس الوقت أهلي لا يعلمون عني أي شيء ولا عن وجودي ولا أين أنا ولا أي شيء عن حالي. أسأل نفسي بحسرة و ألم : لماذا هذا التعذيب و الأذلال و الإهانة لي و أنا شاب في مقتبل العمر أحمل شهادة جامعية و أرغب في الحصول على شهادة الدكتوراه ! ولم أقتل أحداً ولم أسرق مالاً ولم أعتدي على عرض أحد من الناس...!؟ في الحقيقة كان كل اهتمام المحقق أن يودي بي الى حبل المشنقة وأن أجلب أو أحضر أكبر عدد من الناس الى سجن . فكان يسألني من يعطي دروس قرآن ؟ ومن قرأ صحيفة " النذير " ؟ ومن كان يجتمع مع فلان ؟....وكم طالب مدرسة قمت بتنظيمه؟ ومن ...ومن...؟! والغاية هي اعتقال الناس على أتفه الأسباب للزج بهم في سجن تدمر العسكري أو لإلصاق التهم المسلحة بهم وبالتالي إعدامهم. وسأروي لكم لاحقاً كيف تم التلفيق التهم لناس وكيف تم اعدامهم. غاية المحقق لم يكن معرفة الحقيقة! وتبيان الحق والحفاظ على أمن الدولة، بالعكس همه الوحيد كيف يأتي

بعدد أكبر من الناس الى السجن
بعد فترة ثلاثة أسابيع من التحقيق والتعذيب الشديد لي ولغيري لا أعرفهم ولم أراهم لأنهم كانوا في غرفة أخرى . وغالباً التحقيق يكون قرابة منتصف الليل عندما يكون النعاس قد آكل الأجفان، فقد نقلوني الى سجن حلب المركزي وبقيت هناك قرابة 10 أيام مع أحد المخبرين للنظام، الصيدلي: هيثم موصللي وكان لديه صيدلية في مدينة الطبقة- محافظة الرقة. كيف عرفته أنه مخبر؟ قال لي أحد المرات: الدنيا ما كانت تساوي عندي شي قبل السجن ، كان عندي سيارة وبيت وما كنت سائل على الدنيا. لكن بعد السجن والتعذيب إكتشفت إنه الحياة كل شيء وكنا مخطئين وكنا .....وكنا فعرفته أنه رجل قد انقلب على عقبيه و انفتن عن دينه وهناك إشارات أخرى تدل على الردة لديه. وسمعت لاحقاً بأن هيثم موصللي وسامح كيال قد تم اعدامهما في سجن المزة العسكري بدمشق بعد أن انتهى دورهما بالفساد.

في مدينة دمشق:

ثم من فرع حلب – بالمحافظة نقلوني بسيارة الى إدارة فرع المخابرات العامة في كفر سوسة – دمشق وأنا مكلبج اليدين. وهنا بدأ تعذيبي و إهانتي من جديد. و إتهموني بأني قيادي في جماعة الإخوان المسلمين و قمت بقتل فلان وتفجير الثانوية و تفجير مكان فلان. هذا كله بهتان وكذب ودجل لأنني أعرف نفسي بأنني لم أقتل أحداً ولم أعتدي على أحد. فقاموا بتعذيبي تعذيباً شديداً و بضرب مبرح على كافة أنحاء جسدي و بإستخدام الدولاب و غيره . هنا في هذا الفرع من المخابرات عذبوني في الكهرباء . لقد وضعوا الكهرباء في أصابع رجليّ فكنت أنتفض و أرتجف كالطائر المذبوح و يقولون لي إعترف ...إعترف ... إحكينا .... ثم يضعون الكهرباء في أذني و عندها كنت أحس و أشعر بالصرع و الجنون و أسناني تضرب بعضُها بعضا. و قد ظهرت فقافيق (إنتفاخات) في داخل فمي نتيجة الصعق بالكهرباء فلم أعد أستطيع تناول الطعام من شدة الألم في كامل فمي. كان المحقق المجرم القذر يضع الصاعق الكهربائي في أذني و يشغله و يقول لي إعترف ....إعترف ! من قتلت ؟ أين السلاح ؟ وين مخبي السلاح؟ كم طالب نظَّمت؟ أجيبه قائلاً على ماذا أعترف ... ما عملت شي حتى أعترف عليه ....ما بعرف حدى ....ما بعرف حدى...يا الله...يا الله ...! فيقول لي: هون الله ما في ...هون الله ما في...خلي يجي يخلصك.... ثم يصعقني بالكهرباء قائلاً : إعترف ...والا سوف أنهيك .....سوف تخرج جثة محروقة من عندي ....بعد تكرار ذلك عدة مرات معي وعلى أيام متوالية ومتعاقبة وكان لا يحلو لهم التعذيب الا آخر الليل.

وبعد تعذيب شديد في الكهرباء وغيرها وبدأت الفقاعات في فمي تؤلمني جداً وخفت على نفسي من الصرع والجنون وأن يخرجوني مجنوناً أهيم على وجهي فاقد العقل والدين !؟ لكن صدقوني: كلما خرجت من غرفة التحقيق أصحو تماماً وأقول : الحمد لله عقلي معي ...الحمد لله إنني لم أذكر أي اسم على الإطلاق. وعندما أصل الى الزنزانة المفردة رقم 7 أُقبل " أبوس " باطن قدمي شكراً لله لأنني لم أذكر اسم أي إنسان.(**الثبات من الله**). المحقق يريد مني أن أذكر أي اسم حتى يأتوا به الى السجن مباشرة وتحت التعذيب ربما يكون لقمة سائغة لديهم يقتل نفسه ويقتل من حوله.

وفي ليلة قاسية وأليمة وحزينة جداً، قلت للمحقق : خلصني من التعذيب و شو ما بدك بعترف و بكتب و بقول . فقط أوقف تعذيبي. يقول لي : إعترف ماذا فعلت ...ماذا كلفوك أن تعمل ؟ و أنا أعرف الحقيقة بأنني لم أعمل شيىء و لم أكلف بشيء. أنا إنسان مدني و مدرس لغة إنكليزية و أهلي جميعاً معروفين لدى الناس بأننا لسنا من أصحاب المشاكل. ثم طلب مني أن أوقع على ورقة التحقيق. ماذا كتب هو فيها وماذا لفق عليَّ وماذا إتهمني ، لا أعلم أي شيء عن مضمون الورقة. كنت طوال هذه الفترة في هذا الفرع أنام لوحدي في زنزانة منفردة بمساحة: عرض قرابة 70 سم وطول أكثر من 1 متر بقليل وسقف منخفض. فيها بطانية وعازل فقط. هناك تذكرت أحد أبطال قصص تشيكوف أو تشيكوفسكي عندما كان يأكل الصراصير في الزنزانة. وكانت هذه الزنزانة المنفردة بلا ماء ولا تواليت ولا كهرباء، مع طعام قليل جداً يأتي اليَّ في اليوم مرة أو مرتين وشتم وضرب كثير جداً من شراقة الزنزانة وخارجها . فكان الجلاد : يوسف (وهو من صافيتا،كما أذكر) يخرجني الى الحمام مرة أو مرتين يومياً مع لكم و شتم و حقد لا يوصف و خاصة عندما يعلم بأنك شخص متعلم و مثقف فيمتلئ غيظاً وشراسة وحنقاً منك و عليك.

وفي إحدى المرات طلبت من السجان يوسف أن يشعل لي سيجارة من شراقة الزنزانة فقام بشتمي وضربي كفاً على وجهي فبدأت أذني تنزف. عندما رأيت كرامتي تُهان من أجل التدخين، قمت بالتوقف عن التدخين نهائياً. ومنذ تلك الحادثة وحتى الآن لم أضع سيجارة في فمي.

(الكرامة أهم من التدخين).

مهجع جماعي:

ثم أخذوني الى مهجع جماعي كان فيه معتقلين بتهمة شيوعية " حزب شيوعي – جماعة رياض الترك " . قال لي أحدهم يدعى : أبو نضال ، يا أستاذ قم بالتوقيع ع الورقة والا سوف توقع عليها غصباً عنك و سيفرموك فرماً وخاصة أنت بتهمة إخوان مسلمين . انظر الى ابن بلدك عبد الرحمن جنيد أخذوه بدلاً عن أخيه ومع ذلك أجبروه على الاعتراف غصباً عنه و وقع على ورقة التحقيق كما يريدون ! أما نحن الشيوعيون فكما ترى، لنا وضع خاص ويعاملونا بطريقة خاصة غير طريقتكم تماماً. نحن لدينا زيارات من الأهل. والأحباب وعندنا نقود كثيرة أما أنتم أصحاب التهم الإسلامية فلكم معاملة خاصة قاسية جداً وتختلف عن معاملتنا كلياً.

في اليوم التالي أخذوني ع التحقيق و عذبوني (و أنا مطمش العينين في كل مراحل التحقيق و في كل الأماكن أنت تضع طماشة على عينيك حتى لا ترى المحقق ولا أي شيء أمامك على الإطلاق) و قمت بتوقيع الورقة . طبعاً ، يداي مكبلتين و مربوطتين خلف ظهري كالعادة مثل أي مرة أدخل بها على التحقيق. الحقيقة المرة هي: أن كل من يعمل في التحقيق هم عبارة عن جلادين غلاظ شداد لا يعرفون رحمة ولا إنسانية ولا مدنية ولا حضارة. هم عبارة عن وحوش وبهائم يجيدون فقط التعذيب و القتل و الضرب و السلخ و الجلد ..حيوانات مفترسة في شكل بشر...حقد وكراهية دفينة تنهش أحشاءهم..؟! والله لا يعرفون دين ...ولا وطن ...ولا شرف.

لغاية الآن انقضت فترة ما بين شهر ونصف أو شهرين من الزمن و أنا لا أعرف أي شيء عن أهلي ولا هم كذلك . أكاد أجن لما حصل معي هكذا ، و كيف حصل!؟ و كيف حال أبي الذي تجاوز الستين من العمر ! وكيف حال أمي الحنونة...!؟ كيف حال إخوتي وأخواتي...كيف حال أصحابي وأصدقائي...!؟ لقد اشتقت اليهم كثيراً ، فكان الليل يأكلني والنهار يشويني . غربة ...وحدة....وحشة...تعذيب...إذلال ...أصوات الأنين والصراخ يملئ المكان...يلتهمني بتنهداته وأنينه. طبعاً أنا كنت أعزب – غير متزوج، ثم إنني لم أكن سبباً في دخول أي إنسان الى هذا المسلخ البشري، فقد كان ذلك يخفف عني قليلا. لكن مع ذلك ، كان آلام التعذيب النفسي والجسدي قد بلغ مني مبلغاً لا يُستهان به.

الى سجن تدمر العسكري:

في صباح يوم باكر، أخذوني و اتجهوا بي الى خارج مدينة دمشق باتجاه مدينة حمص، هنا أخذوني بدون طماشة. قبل دخول مدينة حمص اتجهوا بي نحو اليمين على مفرق مدينة تدمر. قبل دخول مدينة تدمر بقليل جداً اتجهوا بي نحو اليمين (أي جهة الجنوب) و بعد مسافة قصيرة و جدت أمامي قارمة (لوحة) مكتوب عليه : سجن تدمر العسكري و أمامه عشرات الأفراد من الشرطة العسكرية بلباسهم الأحمر المعروف . هذا سجن ذائع الصيت بإجرامه و وساخته و حقارته. هنا زالت عني صدمة الاعتقال وعرفت بأنني دخلت مرحلة تاريخية جديدة في حياتي. و المعروف عن سجن تدمر ، عبارة مشهورة على كل لسان: " الداخل مفقود و الطالع مولود ".

سجن تدمر العسكري يقع الى الجنوب من مدينة تدمر الآثرية المشهورة عالمياً بمسافة بين 3- 5 كم . مباشرة، بعد نزولي من السيارة وضعوا طمّاشة على عيني و قادوني الى غرفة ديوان السجن (علمت في ما بعد أنها غرفة المسؤول المباشر عن السجن و هو الرقيب أول : محمد نعمة من بلدة مخرم فوقاني- حمص) . بعد أخذ المعلومات الشخصية اللازمة لهم عني بدؤوا بضربي و تسميعي كلام مشين و معيب و خاصة عندما علموا بأني مدرس لغة إنكليزية و بدأت حفلة الاستقبال بالنسبة لي. كل سجين يدخل سجن تدمر له حفلة إستقبال، و هي عبارة عن 100 كرباج ع الأقل على رجليه بعد وضعة في الدولاب. و هناك أكثر من شرطي أو جلاد يتناوبون على ضرب السجين وليس جلاد واحد. دولاب الاستقبال هذا يكون مزاجياً أقل شيء 100 كرباج و يزيد حسب مزاجهم حتى تتورم القدمين و يصبح لونها أزرق مع تزامن في الرفس على الرأس والصدر والبطن و بقية الجسم و الشتائم و البصق على الوجه و الرأس . ثم أخذوني الى المهجع مع شتم و رفس قائلين : كلكم مثقفون .. متعلمون يا أخوات الشرمو....يا أخوات القحبة.. ... يا ....و غيره من الكلام الفاحش مع شتم وكفر بالذات الإلهية و الذي يخاف و يخجل المرء من لفظه و كتابته...

مهجع 2/3 (جديد باحة ثالثة)

ولاك ...ولاك ..عرص ، رئيس مهجع 2/3 (ثلاثة على اثنين معناها : باحة ثالثة مهجع جديد 2) ولاك ....إستقبل هل كر(صغير الجحش) عندك.. ورفسني رفسة برجله مع دفشة من غيره فأرموني داخل المهجع . كنت خائفاً و غريباً و مندهشاً فهجم علي بعض السجناء يسألوني عن أخبار الناس و والأحوال والأوضاع خارج السجن . لكم عندما استكملت قواي العقلية، وهدأ روعي قليلاً ، نظرت أمامي فإذا بالشخصين اللذين شاهدتهما في فرع حلب هما أمامي: أتاسي وبدر فقلت لهما مازحاً " من نشل الجيجة من ع الحدود !؟" أي: من سرق الدجاجة من الحدود ؟ دخل بعد يومين أو ثلاثة الى مهجع 2/3 بحدود/ 10/ رجال من ناحية اصبيخان- محافظة دير الزور، من بين أسمائهم: محمود الضعيف(إمام المسجد لديهم) وهجيج بندر وخليف بسيس البري (أبو صالح) و 3 و4 أشخاص نناديهم: أبو صالح .وكان رئيس المهجع المهندس: عبد اللطيف غزيل (من أصحاب الأدب والأخلاق الرفيعة السامية) ومعه المهندس: جمال أسود وكلاهما من مدينة إدلب . هنا بدأ الشباب يعلموني بأنه: ممنوع الكلام هنا، فقط تهمس همساً. ممنوع تفتح عيونك، ويجب أن تبقى مغمض العينين. ممنوع تنظر الى السماء، راسك دائماً يجب أن يبقى نحو الأرض. ممنوع تمشي في المهجع يجب أن تبقى جالساً. ممنوع أي شيء حاد أو قاطع داخل المهجع، لا موس ولا سكين ولا مرآة ولا مشط. ممنوع ......! ممنوع .....ممنوع ....! وكأننا لسنا بشر! وليس لنا حقوق البشر. فنحن في بيوتنا نعطي حرية للغنم والماعز وغيرهما أكثر مما يعطوننا هؤلاء ...!؟

الحلاقة في تدمر:

بعد دخولي الى سجن تدمر بمدة أسبوع واحد تقريباً، عند الساعة التاسعة صباحاً تقريباً، أتانا صوت غليظ فج وقح: جديد ولاك .... عرصات ولاك .... ولاد المنيوكة....ولاد القحبة...طلاع ...ع الحلاقة .....ع الحلاقة ولاك...فنخرج الى الباحة مجموعة، مجموعة وبحدود 10 أشخاص في كل دفعة منحنية ظهورنا وأيدينا وراء ظهورنا وعيوننا مُغمضة. الحلاقون: هم من سجناء تدمر القضائيين (أي من

سجناء السرقة والنهب والتشليح واللواطة والدعارة والفرار من الجيش وغيرها ....) وهم من أبناء الساحل ونعرفهم من لهجتهم. هناك من الحلاقين من يضع الصابون ويرغي اللحية وأنت رافع الرأس ومغمض العينين و مستند ع الجدار بنقرة راسك...تدعو الله أن لا تأتيك رفسة بالبوط على أضلاعك أو محاشمك ... وهناك من يحلق اللحية ...) فترى الدماء تسيل من وجوهنا من سوء الحلاقة وتسيل من رؤوسنا بكلمة: نعيما ع الحلاقة فيضربنا بماكينة الحلاقة على رؤوسنا...ويقول مستهزئاً وساخراً : نعيماً ولاك ابن...شرموطة ..عرصى ...ويضربنا بالماكينة وبين هذا وذاك أصوات التعذيب والقتل والضرب والشتم لا تفارقنا طوال فترة الحلاقة. والحرس على سطح المهاجع ومعه بارودة روسية مصوبة نحونا. و أحد من الشباب مستلقي على بطنه وهو يعدُّ الكرابيج النازلة على قدميه ! والعدد حسب مزاج السجان . تأمل وتصور هول وفظاعة هذا المنظر ...! لا ينجو أحد منَّا من التعذيب وقت الحلاقة حتى أن البعض منّا لا يعرف أين يذهب الى الحلاق رقم 1 أم رقم 3 لأنه لا ير أمامه فهو مغمض العينين، واذا رآك السجَّان مفتح عينيك فإنه قد حلَّ عليك غضب كبير ونزل عليك حمل ثقيل من اللكمات والرفسات والكرابيج (قطع بلاستيك ثخينة من دواليب السيارات) يستخدموها في ضرب الناس وإزلالهم وأحياناً يستخدمون العصي وبواري (أنابيب) المياه. حلاقة الشعر مع الذقن وأحيانا حلاقة ل الذقن فقط ،كانت من بدايتها حتى نهايتها شتماً وضرباً بالماكينة والكرباج والرفس واللكم وشتماّ بالذات الإلهية. وين ربك !؟ وين الله !؟ خلي يخلصك !؟ خلي يجي يخلصك من أيدينا !؟ هيك وهيك في ....هذا الكفر – سواء في التحقيق أو في سجن تدمر – والتجرؤ على الله وشتم الذات الإلهية، شيء غريب وعجيب ولا يُوصف ولا يُصدق ولا أستطيع الكلام أكثر من هذا بهذا الخصوص...!؟ هنا، بدأت لفحات سجن تدمر تهب علينا فتحرق الأجساد وتلهب الذاكرة وتشتت الأذهان نحو قادم مجهول ومصير لا يعلمه الا الله.

من يدخل الى سجن تدمر في تلك الفترة يدخل الى مهجعنا 2/3 . وكنا نسمع حفلات الاستقبال للسجناء الجدد لأننا كنا نسمع صوت الكرابيج (بلاستيك غليظ لدولاب السيارة) وأصوات التعذيب والتكبير وزمجرة الشرطة ونحن جالسون في مهجعنا. وكان من ضمن من كان معي في هذا المهجع، الأخوة: هيثم المرمور من جسر الشغور (طالب جامعة في كلية الهندسة – جامعة حلب) شاب محترم ومؤدب ومن بيت علم وتقى وهو من كتيبة الفدائية وأخيه أيمن كان معنا في السجن لكن في مهجع آخر. وأحمد وحمدي وعزام عاشور و عبد القادر حراكي وأسعد عبسي وعبد الله اليوسفان وجميعهم من مدينة حماة ومنهم أعمارهم تحت 18 سنة وهم أيضاً من كتيبة الفدائية ويبذلون الغالي والرخيص خدمة

لإخوانهم. وقد قال لي حمدي ذات مرة بعد حفلة تعذيب وسلخ وجلد:" يا أبو هادي ، الإنسان بيتحمل قتل(ضرب) أكتر من جحش ". هؤلاء الشباب الرجالة شالوا أي مهجع دخلوا اليه . بالإضافة الى الأسماء والأشخاص. الذين ذكرتهم أعلاه فهناك أشخاص آخرون أيضاً ربما يأتي ذكرهم لاحقا في مناسبات قادمة. بقينا في هذا المهجع عدة شهور (بحدود 6 أشهر) ثم نقلونا الى الباحة السادسة، مهجع جديد 2/6 .

مهجع: 2/6 (الباحة السادسة – جديد تانية)

في الباحة السادسة يتم تنفيذ الإعدامات. وأنا سمعت أصوات الإعدامات بأذني عندما دخلنا على هذا المهجع 2/6، ومن زملائي في المهجع من شاهد بأم عينه وسمع بأذنه أيضاً. في الحقيقة، أنا لا أستطيع أن أرى إنسان مسلم يتم إعدامه أمام عيوني، وأراه معلقاً على حبل المشنقة. لا أستطيع تحمل هذه المشاهدة لذلك لم أنظر من فتحة حنفيه المياه حتى أرى ساحة الإعدام أمام عيني وأرى تنفيذ الإعدامات أمامي. لم أستطع تحمل ذلك.

في هذا المهجع 2/6 بدأت ملامح السجن تظهر على أجسامنا وملامحنا وكلامنا ومشاعرنا وتحركاتنا. هنا أحسست وشعرت بأن هذا سجن طويل الأمد، أيامه ثقيلة ولياليه طويلة (وليس لها من دون الله كاشفا). أتانا الى هذا المهجع أناس كُثر فقد فرطوا (نقلوا) مهاجع وقاموا بتوزيع السجناء على عدة مهاجع فكان من نصيبنا في هذا المهجع أشخاص قدماء في سجن تدمر وكانوا من أوائل الأشخاص الذين وصلوا سجن تدمر، أذكر من أسماءهم: الدكتور ظافر حج محمد وأحمد وبشار قراجة من اللاذقية ومحمد طلعت عكش و محمد نادر مكي (طلاب جامعة – هندسة) و محمد ربيع دبا (طب أسنان) و تيسير كامل سماني وإبراهيم براجكللي وخالد فرواتي/ أبو عبدو و محمد نحّال/ أبو أنس و جمال صوباشي من حلب وغيرهم كُثر جداً . و زياد علوي من إعزاز . والمهندس: محمد ريحان أبو أنس من كفر زيتا– حماة.

وفي هذه الفترة دخل الى المهجع قادماً من مهاجع أخرى مجموعة من شباب مدينة بانياس — طرطوس منهم الأخوة: عمر حمزة وعلي خدام و اللولو وكفاح علاء الدين والدكتور: عمر بياسي. و من صلخد– السويداء : إسماعيل الحجلي ومعه ثلاثة أشخاص آخرين. و جمعة النقيب و مصطفى الدالي (أبو حسين)

وغيرهم من الرستن مع مجموعة من الشباب من مدينة حمص منهم:أبو سعيد وإبنه سعيد (وكان عاجزاً) وأبو عمار الحمصي . ومن دمشق: محمود نفيسة (طالب هندسة) و مازن وأخيه عماد دبس ولبن (طلاب جامعة) وأبو فراس تقي الدين من دمشق وكان مقيماً في ميلانو–إيطاليا. ومن النبك حسين شكاس (مدرس فيزياء) وحسين عرب (محامي) ومن حماه : عبد الله الطحان (تاجر) و عبد الله الصواف (هندسة سنة 4) وحسام آركي (هندسة زراعية سنة 5) وغازي عاشور / أبو مروان وأخيه عزام و عبد السميح بابللي/ أبو راشد و جمال الشيخ يوسف (حقوق) و اسماعيل النبهان (مساعد في الجيش) و المهندس أحمد العوض من طيبة الأمام و محمود الشيخ و محمود اليوسف من الضاهرية وغيرهم كثيرون جداً جداً من مدينة حماه. ومن ادلب وريفها عدد كبير جداً: منهم أحمد غريبة و محمد نعسان وفهد الخليل و أبو موسى (من بيت غريب – قصَّاب) من كفر عويد وحاج إبراهيم قناطري من حزارين (استشهد) و أبو محمد مراد (استشهد) من فطيره. وعبد الله جبر (مدرس تربية إسلامية) من المسيفرة –درعا وضحوي من تل حميس، الحسكة وأحمد منلا علي من دير الزور.

في الحقيقة كل سوريا كانت في هذا المهجع. سوريا مُصغرة ومُجسمة كانت متمثلة في هذا المهجع. بلغ عدد المعتقلين أو السجناء في هذا المهجع 186 شخص. هنا إختلط السجناء مع بعضهم البعض تماماً وأصبح الحصول على أي معلومة عن أي سجين أمر سهل لتوفر عدد ضخم من السجناء في مكان واحد ولاختلاف فترة دخولهم الى سجن تدمر، مما سهل تشابك وتقاطع وربط المعلومات عن أي شخص تريد معرفة أحواله ومعرفة مصيره.

بالإضافة الى ذلك، فقد أتى الى مهجعنا شباب من الطليعة المقاتلة، منهم: عصام وزان (أبو عبدو) و محمد أبو النصر مصطفى براجكللي(أبو النصر) و حسام الدين دع (أبو الزين) و أحمد بكري كعكة (أبو الوفا) وطاهر العلو (أبو طاهر) بالإضافة الى شخص من الطليعة اسمه : أحمد زعرور فقد سلمته الحكومة الأردنية الى الحكومة السورية في عملية تبادل كما قال أحمد لي. وهؤلاء الأشخاص الستة من الطليعة هم من مدينة حلب وقد تم إعدامهم في الباحة السادسة ومعهم أيضاً الأخوة: عبد الحكيم المصري وصفوان تللجو من مدينة جسر الشغور في 15 شعبان من عام 1990. هنا بدأت محنة سجن تدمر جسمياً وفكرياً ونفسياً. " فالمحنة ألقت أثقالا وظلام الليل قد طال ". أصبح عددنا كبيراً في هذا

المهجع الصغير فكنّا ننام تسييف (على الشق الأيمن أو الأيسر لأنه لا يوجد مكان لننام على ظهورنا). في هذا المهجع لاقينا أصناف العذاب والجوع والتنكيل وفقدان الغوالي من خيرة الشباب المسلمة والمؤمنة.

تقريبا في نهاية 1990 قاموا بفرط (توزيع) مهجعنا على المهاجع الأخرى فكان من نصيبي أن دخلت على المهجع رقم 4 لفترة قصيرة جداً . ثم نقلوني الى المهجع 2 لفترة قصيرة جداً أيضاً وبعد عدة أيام نقلوني مع مجموعة من الشباب للباحة الثانية الى المهجع رقم 8. وكان وقتها ، هناك عرض على المحكمة الميدانية لمعظم السجناء في سجن تدمر. وقد أنكرت في المحكمة الميدانية كل تهم التسليح المكتوبة عليّ في الإضبارة. (قالوا وقتها أن المشرف على المحكمة الميدانية هو الضابط: سليمان الخطيب من دريكيش – طرطوس). من خلال النقاش مع الشباب في هذا الموضوع – موضوع المحاكمة - أصبح أقرب الظن بأن حكمي هو مؤبد وليس إعدام، والله أعلم.

شباب بلدة تل رفعت

تل رفعت بلدتي الغالية، رمز الكرامة والشهامة والمروءة. لو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن بلدنا الحبيب: تل رفعت قد قدَّم الشهداء الواحد تلو الآخر من أيام السفر برلك وما قبلها وحتى كتابة هذه الحروف. أما في التاريخ المعاصر، في الثمانينيات 1980 وما بعد فقد قدمت كوكبة من أخيار وأبرار شبابها فداء للدين والحرية والعدالة والكرامة ودفاعاً عن العرض والشرف. أما الآن فأنا بصدد الكلام عن حقبة الثمانينيات لذلك سأتحدث عن أمثال الأخوة : عدنان عبود (طبيب بشري تخرج في نفس العام) و زكريا بهلول (مهندس) و أحمد محمد طيار(مدرس فيزياء وكيمياء) و حاتم بدران (بكالوريا و تاجر قماش) و أخيه عبد الرحمن (طالب هندسة سنة 3) و أحمد عبد السلام الصن (طالب هندسة) و عبد المحسن الصن (معهد متوسط) وأ. أبراهيم منغاني - مدرس رياضيات ومنهم من تم اعتقالهم أمثال الأخوة: محمد غازي سعيد /أبو زياد (مساعد أول في الجيش) وعكل حمدو (كشتيعيري) / أبو علاء- مساعد أول في الجيش) ، وصالح يوسف بربوري (طالب معهد أهلية التعليم) وفيصل حجي (طالب هندسة) وحج قدور قدور أبو أسامة (تاجر)،و عفان بلاو (ملازم أول في الجيش) وعبد الرحمن فارس جنيد (معلم صف) و مصطفى حاج مصطفى / أبو مصعب وعبد المهيمن عليطو (مقيم في حلب) واخيه زكريا محمد علي عليطو و عبد الرزاق الصن و عامر ديبو السعيد (مقيم في حلب) وجمال صالح سباغ و الأستاذ المرحوم: خالد عبد اللطيف (معلم صف مع شريعة)وعبد الناصر قراط الذبيب (طالب ثانوي -قريب ل أبو أنس) و محمد أحمد كبصو وقدور النسمة/ أبو أحمد (تاجر)ومنهم من تمكن من الخروج خارج البلاد أمثال الأخوة: وليد عبود (معهد سكك حديدية) و وليد حياني (طالب جامعة -هندسة زراعية سنة أخيرة) وأخيه عبد الرحمن (طالب جامعة _ أدب عربي) و محمود بكور(قاسم) و عبد الرحمن كبصو (طلاب هندسة سنة 5) ومروان فارس جنيد (هندسة زراعية سنة 5) وأخيه جنيد (مدرس لغة عربية) وهو سابقاً كان خارج البلاد. و الأستاذ أسعد عبد اللطيف/ أبو البراء واخيه صلاح (طالب طب سنة ثالثة) وحسن حجي و أ. يوسف محمد حميدة (مدرس رياضيات) وأ. محمد بارحي (معلم صف) ....(وأعتذر سلفاً لمن نسيت ذكر اسمه). وهناك أشخاص آخرون تم إعتقالهم لفترة قصيرة في سجن حلب المركزي ومن ثم تم الإفراج عنهم.

أولاً:

أتكلم الآن عمن دخلوا السجن. عندما داهم الأمن منازل قسم كبير من الشباب المذكورين أعلاه ليلقي القبض عليهم ويزجهم في السجن في عام 1981، تمكن قسم منهم من الفرار خارج البلاد وقسم آخر تم اعتقاله. أما بالنسبة لي فقد داهموا بيتنا بشكل متوحش وبربري وهمجي وبلا أخلاق وبلا شرف فلم يجدوا في البيت من الرجال الا والدي عليه رحمة الله ورضوانه. أما أخي عبد الكريم فقد كان خارج البيت وتأخر في السهرة مع أصدقاءه، ولحسن الحظ. لكن أخذو والدي نيابة عني (والدي تجاوز الستين من العمر) ومع ذلك وضعوه في السيارة العسكرية وعندما وصلوا الى دوار الطاحون كان هناك ضابط ينتظرهم . قال لهم لماذا أحضرتم هذا العجوز قالوا لم نجد إبنه وليد. فسأل الضابط والدي أين وليد: فأجاب والدي: وليد يخدم في الجيش عندكم وهو في مدرسة المشاة فقال الضابط إتركوا هذا الختيار لأن إبنه عندنا (هذه القصة رواها لي عبد الرحمن جنيد / أبو فارس وهو كان مع أبي في السيارة العسكرية). أما جارنا العم: قاسم/ أبو بكري والذي عمره في الستين فعندما لم يجدوا ابنه محمود فقد أشبعوه ضرباً وتنكيلاً وتعذيبا حتى سمعت الجيران أصوات تعذيبه وإهانته وقد بقي مريضاً لفترة طويلة نتيجة ضربه وتعذيبه وبدأ يعاني جسمياً ونفسياً نتيجة إهانتهم وتعذيبهم له بشكل متوحش وهمجي.

ثانياً:

أنا لم ألتقي في السجن مع أي شب من شباب تل رفعت ولكن كنت أتابع وأتقصى أخبارهم هناك في السجن من أناس كانوا يعيشون معهم. وكنت أسأل وأستفسر من أكثر من إنسان حول أي شخص أريد معرفة أخباره. فكان معي كثير من الأشخاص الذين أكلوا وشربوا وتعذبوا مع شباب تل رفعت. فكانوا يسردون لي في نفس المهجع قصص وحكايا شباب تل رفعت. كلامي ليس قال عن قيل.

كلامي حقيقي من صاحب المعايشة اليومية معهم

بشكل عام، لقد كانوا قدوة حسنة في الأخلاق والسلوك والأداء الجماعي والطوعي خارج السجن و داخله وأثناء زفاف الروح إلى بارئها. وبمختصر الكلام: كانوا صادقين ومخلصين وشرفاء وشجعان. كانوا طلاب آخرة لا طلاب دنيا.

فمثلاً: الأخ زكريا بهلول دعاه الرسول عليه الصلاة والسلام (في الرؤيا) إلى تناول الفطور معه، فما كان هناك أسرع منه في تلبية هذه الدعوة الكريمة. في إحدى الأيام من عام 1983-1984 استيقظ الأخ زكريا بهلول وقد رأى في الرؤيا (المنام) أن الرسول عليه الصلاة والسلام يدعوه الى تناول الفطور معه . فقص القصة على أهل تفسير الرؤيا (وكان تفسير المنامات عادة معروفة لدينا في السجن) فلما انتهى الأخ زكريا من سرد رؤيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المفسر له: أبشر بخير........فما هي الا فترة قصيرة لا تتجاوز الساعة حتى نادى السجان : ولاك رئيس المهجع عندك إسم: زكريا بهلول فقال له رئيس المهجع: نعم سيدي فأجاب السجان: خللي يجهز حاله ع الطلعة .....هنا عرفنا جميعا بأن يجهز نفسه للخروج الى ساحة الإعدام.

فما كان من زكريا الا أن توضأ وصلى ركعتي سنة شهادة ولبس لباسا خفيفاً وترك ملابسه لإصدقائه وقال مخاطباً: رسول الله عليه الصلاة والسلام دعاني لتناول الفطور معه وأنا ألبي الدعوة بكل سرور. وإنطلق مسرعاً لتناول الفطور مع الأحبة: محمداً وصحبه. ما أجمل الفطور مع رسول الله ! ما أحلى الفطور مع هادي البشرية ...! يقول عليه الصلاة والسلام: " من رآني فقد رآني حقاً " وفي رواية أخرى " من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي".

هذا الكلام سمعته من أكثر من شخص كان يعيش مع الأخ زكريا. الأخ زكريا أعرفه جيداً قبل السجن فهو مثال وقدوة حسنة في الأخلاق والعلم والتواضع. وأحياناً كنا ندعوه ل اللعب معنا بكرة القدم على بيدر: حامد (رحمهم الله جميعاً). وفي السجن بقي كذلك مثالا في الأخلاق والعلم والشجاعة.

أما الأخ: فيصل حجي/ رحمه الله فقد كان من كتيبة الفدائية أو كتيبة الاستشهاديين. فكان من عناصر السخرة التي تُحضر الطعام الى داخل المهجع وترش الباحات بالماء. وعندما كان هو رئيس مهجع 25 (مقابل باحة الإعدامات) كان يخدم الصغير والكبير ويضحي بروحه وجسده خدمة للناس. فقد كانت السجّانة تعذبه عذاباً ويقولوا له: مين عندك مشاغب في المهجع ...ولاك ابن.....فيجيب: لا أحد ...ما عندي حدا ... وهنا يجن جنون السجانة ويضربونه ضرباً مبرحاً ويشلفوه (يرموه) في الهواء ليطب على جسمه الصغير النحيل الهزيل وكانوا يتقاذفونه فيما بينهم، بينما هو ينادي: يا الله ! يا الله ! يا الله.........

أما الأخوة: حاتم محمد بدران وأخيه عبد الرحمن محمد بدران فقد كانا مثالا في الأخلاق والتضحية والشجاعة. حج حاتم: تحمل عذاباً شديداً لا يُمكن وصفه في فرع المخابرات ولم يعترف على أحد على الإطلاق لكن أتى شخص آخر من خارج مدينة تل رفعت واعترف على حج حاتم فأصبح أمام الأمر الواقع. وحج حاتم كان عنده محل قماش أمام جامع البهرمية في حلب ، قريب من كلة معروف)وقد وضعوه المخابرات في محله عدة أيام حتى يصطادوا من يأتي اليه. وفي إحدى المرات كنت أمر في السوق بجانب المحل فأومئ له برأسه أن لا أقترب منه فعرفت أن حوله دورية من المخابرات.

أما الأخ: عبد الرحمن بدران/ أبو محمد فقد كان زميلي في المدرسة ومن أقرب الناس الي ومن الناس الذين أحبهم كثيراً هو وحج حاتم. وكانت لي علاقة بسيطة مع عبد الرحمن ثم انتهت. وكنت أزوره في البيت فيقول لي لن نرفع الصوت " لأن فاطمة المشاغبة نائمة". وكان يقصد بذلك طفلته الصغيرة.

أما في السجن فقد كان عبد الرحمن بدران من كتيبة الفدائية (الاستشهاديين) الذين يقدمون الغالي والنفيس خدمة للناس داخل المهجع. واسشهد زكريا عليطو في عام 1981 وقد استشهد حج حاتم وعبد الرحمن بدران في عام 1983-1984 واستشهد حج حاتم قبل عبد الرحمن بفترة قصيرة- رحمة الله عليهم جميعا- وهذا الكلام سمعته من عدة أشخاص داخل السحن.

أما الأخ: أحمد عبد السلام الصن (طالب هندسة) وكانت له لحية شقراء خفيفة نقية تقية. فجلست معه أكثر من مرة قبل السجن وكنا طلاب جامعة. في إحدى المرات عام 1978-1979 تم عرض فيلم: عمر المختار في صالة سينما أوغاريت في حلب. ومعروف عن هذا الفيلم بأنه حماسي وجهادي وحركي وتمت دعاية كبيرة له في ذلك الوقت. فذهبت لمشاهدة الفيلم، وفي الاستراحة رأيت أحمد عبد السلام من ضمن المشاهدين أيضاً، فسلمّنا على بعض ودردشنا سوية فترة الاستراحة. الأخ: أحمد عبد السلام الصن في السجن كان أيضا من الكتيبة الاستشهادية وكان لا يدخر جهداً في خدمة الناس داخل المهجع وخارجه حيث كان يقدم روحه وجسده خدمة للناس المتواجدين داخل المهجع.

وفي عام 1983-1984 تم استشهاد الإخوة: أحمد عبد السلام الصن و عبد المحسن الصن و أحمد محمد طيار. جميع شباب تل رفعت تم استشهادهم بين عام 1983-1984م. أما الأخ: د. عدنان عبود فلم أسمع اسمه في السجن وربما تم استشهاده أثناء التعذيب في الراموسة أو في إحدى الفروع الأمنية ولم يصل الى سجن تدمر. بالنسبة للأستاذ إبراهيم منغاني / فقد إستشهد أما في فرع المخابرات أو في مجزرة تدمر والله أعلم.

لقد أعدموا كل من له علاقة بالسلاح ولو شم ريحته أو تعامل به وخاصة اذا كان طالب جامعة أو مُتعلم يحمل شهادة. أما باقي الشباب من تل رفعت فكلهم خير وبركة ولا أزكي على الله منهم أحدا. ولكن تكلمت عمن له بصمة في ذاكرتي ومن كنت أعرفه أيضاً قبل السجن. أسأل الله المغفرة والرحمة لمن إستشهد ، ولأهله وأولاده الأجر والثواب. أما من ما زال على قيد الحياة، فأتمنى لهم السلامة والتقوى ومن العمل ما يرضى. كما أرجو حسن الختام لمن بقي منهم في دار الأنام. "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ".

المهجع رقم 8 في الباحة الثانية

نقلوني مع مجموعة من السجناء الى هذا المهجع في نهاية 1990 تقريباً. حسب معرفتي وقراءتي، فإن هذا المهجع كان شكله وتصميمه: شكل اسطبل للخيل أو مكان منامه للمقطوعين في غابر الأيام. وكان من ضمن المهاجع التي تم فيها تنفيذ مجزرة تدمر المشهورة بحق السجناء في عام 1980 حيث كان هناك آثار لطلقات في جدران المهجع وخاصة في الجزء الشمالي والشرقي من جدران المهجع، والله أعلم.

عندما دخلت الى هذا المهجع رقم 8 وجدت فيه كثير من الناس ومنهم من أتى بعدي الى هذا المهجع، وأذكر من بينهم على سبيل المثال وليس من باب الحصر مع احترامي للآخرين جميعاً ومن باب أنني أتذكر الأسماء بدون عناء مع شكري الجزيل لمن يساعدني في الأسماء ولمن له ملاحظات أو تعليقات أيضاً. كان من بين الموجودين في هذا المهجع : د. غسان عبد الباقي – المسؤول الصحي من مدينة حماه (صاحب علم ودين وأخلاق) وسمير المصري (طالب طب) وهم من مدينة حماه وأسماء كثيرة أخرى . والمهندس: عبد الإله درويش من جوباس – سراقب – إدلب وقاسم جراد (طالب جامعة)

من الترنبه- سراقب، وجمال شحود وأخوة إثنين من بيت جرود من سراقب ، وعمر العمر، مدرس لغة فرنسية من جوباس وعلي درويش (أبو بصير) من سرمدا و نجم الدين عبد الباقي / أبو طاهر من محمبل و نديم وتي/ أبو جميل (الزعيم) من سلقين وماجد أمين / أبو المجد من كنصفره، و أحمد دغيم / أبو مصعب من جرجناز والشيخ أبو محي الدين من معاشورين و عبد الله هاشم قره محمد من مدينة إدلب وآخرين غيرهم. وطراد البطران ومهدي من ريف الحسكة وأظنهم من ناحية الشدادي و فهد الخدعان من شيوخ شمر في سوريا والعراق، والدكتور المهندس محي الدين شيخاني من قرية خحوكة (كاتب قصصي) و عبد الرزاق خليل حميد العلي من الفدغمي من محافظة الحسكة. ثم آتانا دفعة جديدة الى المهجع من مدينة الميادين: ومنهم: الدكتور: أحمد حمادي الشاهر- إخصائي قلبية (أبو سامر) و طارق المصطفى (مدرس جغرافيا أو فلسفة) ولؤي فريح مدرس تربية رياضية وبشار العلي مدرس إنكليزي. ومن مدينة الرقة السيد: فواز الفواز (رجل محترم ومتوازن) وكان قنصل سوريا في قبرص وغيرهم. ومن حمص الأخوة: سبيع عزوز وعاصم أزهري (والده مدير تحرير جريدة العروبة في حمص) وخالد حمدي/ أبو محمود وعبد الرحمن سويد (وكان من جماعة المنشدين هو و عبد المتين دباغ من حلب) وغيرهم كثيرون. ومن دمشق: بشار عجاج (طالب جامعه) وأخوه بسام /أبو معاذ (طالب طب) وقد حفظني أبو معاذ " ألفية ابن مالك " في اللغة العربية وعلمني الإعراب، وماجد السعدي : طالب طب سنة خامسة وكان معنا محمد السعدي طالب صيدلة في 2/6 من دمشق و الأستاذ: محمد علي عجاج (مدرس شريعة وعمره تجاوز 60 سنة وقريب للشباب المذكورين سابقاً) و عبد الهادي زيناتي (صرّاف) ومحمد وطلال الخطيب (رياضيات + مهندس) و ماهر طنطاوي (طالب هندسة) ابن العالم والدكتور في الرياضيات: عبد الغني الطنطاوي و حسان خدام الجامع من مدينة دمشق وغيرهم كثيرون جداً .

سوريا بالكامل كانت موجودة في هذا المهجع لكن بشكل مُصغّر. وقد استمر وجودي في هذا المهجع حتى خروجي من السجن. وهؤلاء السوريون، بشكل عام، كان كل واحد منهم أجمل من الآخر في الأخلاق والمعاملات. سمة الخيرية هي القاسم المشترك لهؤلاء الرجال الأبطال. لا تيأسوا من شعب سوريا فهو قادر على إنجاب الرجال العظام.

يوم من أيام سجن تدمر:

قبل الدخول في تفاصيل وأعماق سجن تدمر، لأنقل لكم منه الصور الدامية والفعَّالة والمكسية بوشاح السواد مع زنار أحمر بلون دماء الشهداء وسترة تفوح منها زفرات وآنات المحرومين والموجوعين والمنسيين في عالم يخلو منه الضمير، ولأسبر لكم أعماقه ونرى ما حوى من لؤلؤ ومرجان، و هل هناك فيه قاعاً صفصفاً لا ماء فيها ولا ظلال !؟

من الصعوبة بمكان أن أبدأ ! من أين أبدأ ...؟! وكيف أبدأ... !؟ على الرغم من أن كل الطرق توصل الى الهدف والمراد فقد وجدت صعوبة بالغة في كيفية المباشرة والسرد لأيام حُبلى بالمعاني والأفكار والأجسام المتناثرة هنا والمتطايرة الى هناك. لذلك قررت وبمشيئة الله أن أروي لكم يوماً تدمرياً كاملاً من صبيحة الفجر حتى يبلغ اليوم منتهاه. أكتب لكم هذه الكلمات بكل جوارحي ومشاعري، فقط يدي تخط بإهتزاز لأرصد لكم الحركة والموقف و التعبير عن الشعور ولطرح الأفكار وإظهار الحقائق وبلورتها على صفيح ساخن كلفحة من لفحات سجن تدمر في يوم لاهب، لاهب في الزمان والمكان والأجسام والوجدان. الله ! الله ! الله ! من تلك اللفحات...! سأروي لكم حياة سجين في سجن تدمر العسكري من الإستيقاظ وحتى النوم. مع تحفظي على ذكر الأسماء الحقيقة لأسباب كثيرة.............

الإستيقاظ الساعة السادسة صباحاً

السجان: استيقاظ ولاك ...جديد سادسة ...استيقاظ ولاك.....عرصات......ولاد القحبة...

الحرس الليلي :استيقاظ يا شباب ...يا الله يا شباب .....صارت الساعة 6

رئيس المهجع: حاضر سيدي ...الكل استيقاظ ...الكل يضب البطانية...يا شباب بسرعة الشرطي (السجَّان) عمَّا يراقب المهجع.......

هناك من يلمّ بطانيته ويحزمها بشرط أو مرسة من نايلون ويسندها على جدار المهجع. وهناك من يُسرع مباشرة الى التواليت ليصف على الدور ليقضي حاجته لأنه طوال الليل لم يستطع أو لم يتجرأ

على الخروج ليلاً الى التواليت لأنه ممنوع الخروج الى التواليت ليلاً....طبعاً، هناك من يُنظم الدخول على التواليت. هناك شخص يتم تعيينه للإشراف على الدورة وأحياناً يكون لديه مساعدين في هذا العمل. هناك تواليت واحد فقط وهناك 2 جرن أو مغسلة تواليت (وهذه تصنيع محلي) لقضاء الحاجة على الواقف. على الواقف، يصف في طابور مستقل والأخرون في طابور(صف) آخر ولكن بجانب بعضهم البعض. وهناك من يأتي يتلوى من شدة الحصر والضيق فيدخل بدون دور لكن يتلقى نظرات غير مرغوب بها فالكل في الهمّ سواء..... بحدود الساعة 6:30 يكون معظم المهجع قد انتهى من المشاغل الضرورية التي تتبع حالة الإستيقاظ.

القرآن الكريم:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

" إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ".

وعن عثمان رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

ويقول صاحب الظلال:

" الحياة في ظلال القرآن نعمة . نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه ".

والحمد لله.. لقد مُنَّ عليَّ بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي. ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه."

وهنا يبدأ حفظ وتحفيظ القرآن الكريم. طبعاً، نحن ليس لدينا كتاب قرآن كريم (ورقياً). ولا يوجد لدينا أي كتاب أو دفتر أو قلم. كل هذه الأمور ممنوعة منعاً باتاً. يتم حفظ القرآن الكريم شفهياً. يتم الحفظ من الصدور وكما قال أحدهم يوماً:" العلم من الصدور وليس من السطور". على سبيل المثال: أنا أريد أن أحفظ سورة البقرة وأعرف أن هيثم أبو علي يحفظ سورة البقرة فأذهب اليه وأطلب منه تحفيظي سورة البقرة. نتفق على موعد مثلاً الساعة السادسة والنصف صباحاً فأذهب الى مكان نومه فهو ينتظرني هناك لأن الأماكن ضيقة. يبدأ التحفيظ بأن يقرأ آية كريمة واحدة فأعيدها وراءه مرة أو مرتين (أعيدها حتى أحفظها) وأضع إشارة على حفظها على سلامة خنصر يدي اليمنى. أنتهي من حفظ الآية الأولى فأنتقل الى حفظ الآية الثانية وبنفس الطريقة مع وضع علامة على خنصر إصبع اليد اليمنى وهكذا يصبح لدي حفظ 15 آية على أصابع اليد اليمنى و 15 آية على اصابع اليد اليسرى وهكذا دواليك يتم حفظ القرآن الكريم. كل التعليم يتم بصوت منخفض جداً جداً لأن الكلام ممنوع في السجن وبنفس الوقت هناك غيري من يحفظ القرآن الكريم وهو يجلس خلفي وعلى يميني وعلى

شمالي. في هذا الوقت، ترى معظم المهجع يشتغل بالقرآن الكريم فينشرح صدرك وتشعر بالراحة وينتابك شيء من التفاؤل بأنه ما بين طرفة عين و انتباهتها يغير الله من حال الى حال. أستمر في حفظ القرآن مع هيثم أبو علي حتى تنتهي حصة التحفيظ ومدتها بحدود ساعة واحدة. إنتهيت من سورة البقرة أنتقل الى سورة آل عمران فأطلب من أحد الشباب أن يحفظني سورة آل عمران. وأنا بنفس الوقت، لكن في توقيت آخر أقوم بتحفيظ جزء عمَّ الى أبو عبدو. وبعد الحفظ يمكن أن تقوم بأخذ موعد مع أحد المهرة بقراءة القرآن لكي يضبط لك الحفظ والتجويد بشكل جيد جداً. طبعاً مع طول الفترة الزمنية وتعاقب الأيام والليالي ومع المراجعة المستمرة لكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار فقد تمكن قسم كبير من سجناء تدمر من حفظ القرآن الكريم غيباً وعن ظهر قلب والعبد الفقير كان واحداً من بين هؤلاء الشباب. وهناك بعض الشباب من يحفظ بعضاً من التفسير أمثال المرحوم المهندس: محمود نفيسه و أبو الزيت و أبو الشحن وأبو القاف. فكانت الناس ترجع اليهم لتفسير بعض المفردات أو الآيات.

وكان يتم إعطاء بعض الدروس أو المحاضرات _ أحياناً وليس دائماً _ ويتم الإعلان عنها مسبقاً. مثلا: يوم الإثنين بعد العصر هناك درس عام في الفقه أو العقيدة ويوم الخميس درس في أحكام الجهاد أو أصول الفقه. الدعوة عامة والحضور طوعي. المحاضر يكون صاحب علم ومعروف لدى السجناء بعلمه وحسن أخلاقه. هذا المحاضر يأخذ غرفة غير مكشوفة من المهجع ويجلس على كرسي (2 بطانية فوق بعضهم البعض) والمستمعين جالسين أمامه ويستمعون اليه مع هامش مناقشة للسؤال والجواب. وهذه المحاضرات كانت ذات فائدة كبيرة لتوعية الناس إيمانياً وعقائدياً. وأما من لم يحضر فيكون لديه موعد آخر لإعطاء أو تلقي علوم أخرى. ومنهم من يكون لديه حمام أو غسيل ثياب...الخ .

أثناء حفظنا وتحفيظنا للقرآن الكريم، تكون البلدية قد قامت بتوزيع الفطور على المهاجع. البلدية: تعني عناصر السخرة التي تأتي بهم إدارة السجن لتوزيع الطعام على المهاجع ولحلاقة شعر السجناء. وعناصر السخرة هم من العساكر: الفرار من العسكرية والسرقة و المخدرات والدعارة والنصب والاحتيال وغيرها من الصفات الوسخة وغالبهم إن لم يكن كلهم من أبناء الساحل. عندما يتم توزيع الفطور على كل المهاجع، ويتم وضع جاطات الطعام أمام أبواب المهاجع ، تقوم دورية من الشرطة (أي الشرطة العسكرية أو السجّانة) بإدخال الطعام على المهاجع.

الفطور:

السجان: جديد ولا ....جديد ولا... كر ...ولا..ابن الشرمو..... شد الباب.........

- رئيس المهجع: حاضر سيدي ....شدو الباب ...يتم سماع مفاتيح الباب وهي تطقطق
- دخل الفطور ولا ....ابن القح....تنين بس ، يدخلوا الفطور ولا.....................
- دخلو الفطور.....................
- هنت ولا ....ليش عما تطلع علي.................
- والله ما عما طلع عليك يا سيدي............
- عما تكذبني هنت ولا ...والله لألعن ...ر.....لأن .....ويبدأ بالضرب واللكم والشتم لهذا

السجين الذي يقوم بتدخيل الطعام حتى نكره الفطور وتناول الفطور ..ولم تعد لدينا نفس على تناول أي شيء.

الفطور في تدمر يتكون من جاط شاي أو 2 جاط شاي (نصف الجاط مليء بالشاي فقط) وتأتي كمية لبنة بحدود كيلو ونصف الى 2 كيلو كحد أعظمي أو بدلاً من اللبنة يأتي زيتون أو مربى أو بيض مسلوق.

في الفطور يأتي فقط 2 نوع من الطعام: شاي + نوع واحد مما ذكر أعلاه. مثلاً، في بداية المهجع 2/6 ، العدد كان 186 شخص في مهجع واحد. كنا مقسمين المهجع الى مجموعات طعام في كل مجموعة 8 أشخاص والأشخاص يختارون أنفسهم ليأكلوا مع بعضهم. تقوم مجموعة السخرة بتوزيع الطعام على شكل حصص متساوية في مكان واحد آخر المهجع وبعد أن يتم تقسيم الطعام على عدد مجموعات الطعام وبالتساوي يتم ضرب قرعة من أي مجموعة يجب أن يتم توزيع الطعام. ثم تقوم سخرة الطعام بالتوزيع على المجموعات فيكون نصيب كل مجموعة قليلاً من الشاي مع كمية قليلة جداً من اللبنة. مثلا بيض: تكون حصة الشخص ربع بيضه واذا كان الأكل كتير كتير تكون الحصة نصف بيضة للشخص الواحد أما الشاي فيتم تدوير صحن بلاستيك الشاي على المجموعة. كل واحد يشف شفة شاي ثم يَسلم الصحن للشخص الذي على يمينه فيشف شفة شاي ثم يسلم الصحن على يمينه وهكذا يتم تدوير صحن الشاي على بعضنا حتى تنتهي الشاي. صحن الشاي ينتقل من يد الى يد أخرى حتى يصبح الصحن فارغاً. وإذا كان الشاي قليلا فإنا نبلُّ الخبز بلاً بالشاي. وإذا كان لبنه

تكون الكمية مقدار نصف ملعقة للشخص الواحد يتم وضعها على حصة الخبز واذا كان مربى نفس الشيء وإذا كان زيتون بين 3 و 5 حبات زيتون فقط. أما الخبز فتكون الكمية تلت صمونة عسكرية أو نصف صمونة اذا كان الخبز كثيراً. نحمد الله على هذا الفطور. تقوم السخرة بجمع الفوارغ وأخذهم الى المجلى (آخر المهجع بجانب التواليت) وتقوم السخرة بالجلي السريع للصحون والجاطات وبالماء البارد وبقليل من الصابون وبدون منظفات على الإطلاق. ونبدأ بالاستعداد للتنفس – وما أدراك ما التنفس... !؟ كلمة غريبة في المبنى والمعنى ...!؟

التنفس:

يبدأ التنفس غالباً الساعة التاسعة صباحاً ويكون يومياً ويستمر أو يستغرق 15-25 دقيقة معدل وسطي. وأحيانا يكون هناك تنفس آخر بعد العصر وخاصة في أوقات الصيف. التنفس لم يكن ثمة هوى أو تغيير جو. التنفس كان مثل الخروج الى الموتْ ...التنفس كان متل طلوع الروح ....لا أحد يضمن عودته الى المهجع لأن الكل معرض للموت أو قطع أو تعطيل عضو من أعضاء الجسم...

– طالع الجاطات ولاك ....طالع الفوارغ ولاك....رئيس المهجع ...ابن العر....

– حاضر سيدي ...طالعو الفوارغ ...طالعوا الجاطات .... (أي جاطات الفطور الفارغة)

– طالع خمسة سخرة يرشو الباحة ولاك عرصا ....(كل واحد من هؤلاء السخرة الأبطال يحمل – بيده بيدون بلاستيك من الماء سعة 20 ليتر ويقوم برش الباحة أمام مهجعنا ومهجع الجيران (مهجع جديد ومهجع27) ويكونوا على نسق واحد أو خلف بعضهم إذا طلب السجان منهم ذلك.

طلعوا 5 بس : و يبدأ رئيس المهجع بالعد 1 – 2 – 3 – 4- 5 ... كافي... رجعوا البقية صفو .

– ع حيط المهجع

أولاً : ما معنى السخرة ؟

السخرة: كلمة أو مصطلح عسكري لمن يقومون بإلزامه وإجباره على خدمة الآخرين كعقوبة له. أما نحن نزلاء سجن تدمر فعناصر السخرة لدينا كنا نسميهم بيننا : كتيبة الفدائية ...كتيبة الاستشهاديين ...كتيبة الأبطال...هؤلاء الشباب كانوا من خيرة الناس ومن أشجع الناس وأكثرهم خدمة لأهالي المهجع بشكل عام. وكان عددهم يتراوح بين 10-15 شخص بشكل دائم ومستمر وأحياناً ينضم

اليهم بعض الأشخاص وأنا أحياناً كنت من ضمن الأشخاص الذين ينضمون اليهم ولكن قسم من هؤلاء الشباب كانوا يُصرون على عدم الخروج معهم الى الباحات في رش المي ويقولون لي بكل أدب وإحترام: أبو هادي: أنت أخونا الكبير لا داعي للخروج معنا، ونحن نكفي. الله يخليك ما تطلع معنا. ومن بينهم الأخوة: عبد الكريم ونذار وأبو النصر براجلكي وأبو الوفا وأبو الزين وهيثم/ أبو علي و أبو الحمد وأبو السمح وأبو الشيخ وأبو عبيدة وأبو المجد وأبو الدبس وأبو السعد وغيرهم. لذلك، أعرف عن كثب طبيعة عمل هؤلاء المغاوير الأبطال وأعرف الباحة بشكل جيد وكيفية رش الماء وما كان يترتب عليها من تبعات.

أنا لا أبخس الناس أشياءهم هنا أبداً... فمعظم الناس خير وبركة ولكن كتيبة الفدائية هم أكثر الناس عطاء وتضحية بالنفس والجسم وقد قدموا نماذج في التضحية والإقدام والإيثار لم نسمع بها الا في زمن الصحابة رضوان الله عليهم. وسأبين لكم لاحقاً نماذج من تضحياتهم. ولا عجب في ذلك، فنحن قدوتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صحبه الكرام، " وإن التشبه بالكرام فلاح ".

- ادخلوا ع المهجع ولاك عرصات

- حاضر سيدي -5-4-3-2- 1 -

- طالع 5 بيدونات تانية ولاك كر

- حاضر سيدي ...تعالوا خمسة بس ....1 -2-3-4-5- كافي ...البقية صف ع طرف على جنب وراسك ع الحيط...............

- رشوا با لمي هديك الباحة ولاك ...منايك... ولاك أخوات ....هنت ولا... ليش ما عم ترش مي ... كيّس ...تاع لعندي ...والله ..لأن....منبطحاً.....ولاك

- يا سيدي والله عم رش كويس متل ما عما تقول الي عمّا رش مي ..والله عم رش مي ....

- والله لأ..... هيك وهيك في أمك وأختك ...بعد كم كف وبكوس ...منبطحا ع الأرض وارفع رجليك. ولاك إبن .... (طبعاً هناك دورية كاملة في التنفس وليس عسكري واحد بل مجموعة تتراوح بين 3-5) عناصر مع رئيس الدورية.

ويبدأ الجلاد بضرب هذا السجين أو (الفدائي) بقوة وشدة لا توصف. فهو يرفع الكرباج الى - أعلى ما يستطيع ثم يهوي به على أرجل السجين النحيلة الهزيلة وعلى مقعده ولا يسأل أن يهوي هذا الكرباج الأثم. هذا الجلاد يضرب أخينا وأصوات الاستغاثة تملأ أسماعنا وتهز مشاعرنا فنحن مقبلون على تعذيب لا تطيقه بشر ولا يعلم مداه ومنتهاه الا الله ! في هذا الجو المشحون المكهرب المتوتر يأتي

سجان آخر الى مهجعنا ويقول:

- رئيس المهجع ولاك..........

- حاضر سيدي...............

راسك بالأرض وغمض عينيك وايديك ورى ضهرك وطلاع ع التنفس واحد...واحد ...ويا ويلو الي بشوف عيونه مفتحه............

- حاضر سيدي ... يالله... واحد...واحد ....يا شباب. طبعاً نخرج حفايا (بدون أحذية) لسهولة الحركة والركض وبنفس الوقت لا توجد لدينا أحذية أو شحاطات كافية. نخرج من المهجع بسرعة فائقة الى المكان الذي يحدده السجان في الباحة، نخرج حفاة ورأسنا منخفض للأرض و عيوننا مغمضة وأيدينا وراء ظهورنا ونصطف وراء بعضنا على شكل نسق (صف)، وكل صف من 3 الى 4 أشخاص ويأتي الصف الثاني وراءه بنفس الترتيب حتى يخرج المهجع في الكامل. ويبقى في المهجع قسم من أفراد السخرة بحدود 5-8 أشخاص حتى يكنسوا المهجع وينظفوه ويبقى في المهجع أيضاً عدد قليل من المرضى الذين لا يستطيعون الخروج الى التنفس بسبب الأمراض.

وننطلق بسرعة نحو التنفس واذا بأحد السجانة يمد رجله أمام أحد الرجال، وهذا الرجل مغمض عينيه ولا يرى أمامه فيقع و يتدعبل ع الأرض دعبلة ...فيقول له السجان اللعين: انت مفتح عيونك ...يا ابن الشرموطة...يا ابن القحبة...تعال لعندي لفرجيك..........

فينهض الرجل متثاقلاً من أثر الارتطام بالأرض ومن هول التعذيب الذي ينتظره من هذا السجان ... (أرض الباحة هي من الزفت الخشن). تُوجد عدة عناصر من الشرطة في الباحة بالإضافة الى حرس عدد 1 أو 2 على سطح المهاجع ومعهم بواريد روسية مصوبة باتجاه الباحة، أي بإتجاهنا. والباحة كلها مُغطاة بالأسلاك الشائكة أو التيل السميك فلا يستطيع أحد الخروج من الباحة أو الدخول اليها من الأعلى.

- رفاع راسك وغمض عينيك وايديك ورى ضهرك ولاك ...ابن ...

- والله يا سيدي ما ني مساوي شي ! والله كنت مغمض عيوني..........

- ليش انت بتعرف الله ولا....وينو هادا الله ....خللي يجي يخلصك ....

- رفاع راسك أعلى من هيك....ويبتعد السجان أكثر من مترين ثم يأتي مسرعا وبكل قوته يرفسه على صدره أو بطنه ...ويأتي سجان آخر ويضربه بالكفوف على وجنتيه حتى تصبح حمراء على زرقاء .....وضرب على راسه حتى تظهر بعجورات أو بعكورات (على قولة أخوتنا الحموية) على رأسه

وعلى وجهه ...وأثناء تعذيب...يكون شرطي آخر أو أكثر يراقب المهجع وهو يمشي تنفس بهدوء شديد لأننا لا نرى أمامنا ...ومن يفتح عينيه باللاشعور أو عن قصد بدافع الفضول (وهؤلاء قليلون وعلى أصابع اليد الواحدة) فإنه يتحمل نتيجة لا يُحمد عُقباها. وطوال فترة مراقبته للتنفس يقوم الشرطي بضرب هذا وشتم ذاك...وكف هنا ورفسه هناك ... والجميع الأيدي وراء الظهر والعيون مغمضة والرأس منخفض للأسفل ونمشي كما نقول بالعامية: ع الهدس، ورأسنا على بين كتاف الشخص الذي أمامنا وكما هو يمشي نحن نمشي وراءه كالعميان.... وفي هذه المعميعة أو الدويخة يكون 2 أو 3 من إخوتنا المساجين يتلقون أشد أنواع التعذيب ونحن نسمع صوتهم ومناشداتهم وصراخهم ولا نستطيع أن نقدم لهم أي معونة أو مساعدة. ثم يقول رئيس الدورية : واقفاً ولاك مهجع...واحد ...واحد ع المهجع ...بسرعة ...فتقوم الناس بسرعة فائقة ب الدخول الى المهجع.

– آخر واحد يسكر الباب ولاك عرص....آخر واحد يشدُّ الباب ...ولاك

– رئيس المهجع: حاضر سيدي .....شدو الباب ...(صوت قفل الباب) يتابع رئيس المهجع قائلاً:

.إنتبه ...استا عد...استا رح ...استا عد ...المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب

الكلمة السائدة والمنتشرة على كل لسان بعد التنفس هي : الحمد لله على السلامة ....الحمد لله على السلامة يا شباب ...نقولها لبعضنا بعد التنفس مباشرة. وقد تنفسنا الصعداء....

محطات في التنفس

في الحقيقة، بل في الواقع، في قرارة النفس والجسم فإن التنفس هو لفحة من لفحات سجن تدمر، وإذا أردت أن أكون أكثر شفافية ومصداقية معكم ومع نفسي أقول: التنفس لفحة من لفحات جهنم. واليكم بعضاً من هذه اللفحات وسأبدأ بما حصل معي. سأروي لكم لقطات لتجربة شخصية، لم ولن أنساها ما دمت حياً. ثم أسرد لكم مما رأيت بعيني وسمعت بأذني.

في يوم صيفي لاهب من أيام مهجع 2/6 . كانت الشمس محرقة والأرض تكوي الأقدام الحافية العارية ولباس خفيف يستر من الجسم ما يتوجب ستره، وأصوات التعذيب والضرب والشتم والصراخ يملئ الباحة رعباً وفزعاً وكأنه يومُ من أيام المحشر أو القيامة...ولاك جديد واقفاً ....واحد ...واحد ع المهجع ...يا أولاد القحب.....الشرمو......فيندفع الناس بسرعة لا توصف للدخول الى المهجع "يوم يفر المرء من أخيه وأمه وابيه وصاحبته وبنيه لكل إمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه "....ونحن في

هذه الحالة من الهلع ومن السرعة ...سرعة الخائف الملهوف يقول الشرطي ...واحد يشيل البشكيره (المنشفه) ولاك ! واحد يشيك البشكيره يا عرصات...! ما حدى شال البشكيره ... فقلت في نفسي اذا ما حدى شال البشكيره...أنا بشيل البشكيره لما بصل لعندها....واحد يشيل البشكيره ولاك عرصات...مناي....طبعاً، ونحن نركض نحو المهجع في سرعة فائقة ...فقلت في نفسي أنا بشيل البشكيره وعندما وصلت الى البشكيره ماطلت راسي لأشيل البشكيره لكن من قوة السرعة من الشباب الراكضين خلفي قاموا ضربوني ضربة قوية جداً على ظهري ومقعدي فضرب رأسي بقوة شديدة على العارضة الحديدية لباب المهجع ...نعم، ضرب رأسي بشدة في العارضة الحديدية المتوهجة فنفر الدم من رأسي مباشرة. فقال السجان .....واقفاً ولاك مهجع...واقفاً...وقال لي تعال هنت لعندي ولا....ارفع يدك ...واذا بالدم ينفر بغزارة من رأسي....فتتلطخ يدي وبيجمتي بالدم مباشرة...فيقول لي ع المهجع فوراً ولا ... فأدخل على المهجع مباشرة ويدخل ورائي من تبقى من اهل المهجع. ويقوم رئيس المهجع كالعادة بتقديم الصف والمهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب. الحمد لله على السلامة ياشباب ...الحمد لله ع السلامة أبو هادي فأجيبهم الحمد لله على سلامتكم يا شباب.

يأتي المسؤول الصحي في المهجع (وهو طبيب لكن معتقل معنا) ينظر الى الجرح فيقول لي : الحمد لله على السلامة لكن للأسف جرحك بدو خياط إجباري ما بمشي الحال بدون خياطه. فأجيب: كما تريد يا دكتور، إفعل ما هو ضروري ، والله يعطيك العافية. طبعاً، حولي الدكتور وعدة شباب من أصدقائي وأراهم يتألمون علي وعلى ما حل بي، لكن في الحقيقة أنا لا أشعر بشي فقط أرى دمي يسيل ...أحضر الدكتور إبرة خياطة عادية ومعها خيط عادي وبدأ يخيط لي رأسي لكن الأبرة لا تدخل في رأسي ...يحاول جاهداً أن يُدخل الأبرة في جلدة رأسي لكن لم يستطيع وأصدقائي حولي يتألمون لمنظري و حالي، فقال لي الطبيب: يا اخي إنت شو قصتك الأبرة ما عما تدخل في جلدة راسك !؟ فقلت له : أنا لاعب كرة قدم و بستخدم راسي كويس في ضرب الطابة. فإبتسم الدكتور قائلاً : هاتوا قصاصة ..جيبوا قصاصة...وبدأ بالقصاصة يدفع أو يدفش الأبرة بقوة حتى تدخل في جلدة رأسي ليتمكن من خياطة هذا الجرح. أراهم يتألمون ويتلوون علي، وأنا لا أعرف ولا أرى قدر المُصاب. وبعد جهد جهيد تمكن الدكتور من الإنتهاء من خياطة جرحي بعدد لا بأس به من القِطب. فشكرته على جهوده وتناول كل واحد منا حِزاً من التفاح أتانا هدية من أحد الأخوة الأسخياء.

لفحة من اللفحات

في يوم من أيام سجن تدمر القاسية واللاهبة...في يوم حامي الوطيس شديد اللهب ....

- ولاك جديد ....ولاك عرصات....شد الباب.....

- إنتبـــــــــــه ....استا عد...استا رح....استا عد ....المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب....في هذه الحالة كل أفراد المهجع يقفوا على أرجلهم وتكون وجوههم بإتجاه الحيط.......

- طالع 5 يرشوا مي (ماء) في الباحة............

- رئيس المهجع: يعدهم: 1-2-3-4-5- كافي ...الباقي صفوا على حيط المهجع.....

- راسك ع الحيط يا حيوان ....وعينيك مغمضة ابن القحب.....بتبخ الباحة مي منيح وما تخلي شقفة بدون بخ...ويا ويلك اذا تركت شي بدون بخ.....وطي ايدك ولاك...وبخ كيس ولا....عندما ينتهي 5 شباب من كتيبة الفدائية من بخ الباحة ذهاباً واياباً..يأتوا الى عند باب المهجع ويقفون بإتجاه الحيط ورأسهم للأسفل ينتظرون الأمر من الزبانية حتى يدخلوا الى المهجع....لكنهم لا يَسلمُون ولاك جديد ...طلاع ع من الضرب واللكم والرفس والشتم بحجة أنهم لم يرشوا الماء بشكل جيد التنفس....

- طلاع بره ...واحد ...واحد ..وراسك بالأرض يا أخوات الشلك.........

- حاضر سيدي ....

يخرج مرياع المهجع: أبو عمار أول واحد من المهجع مسرعاً بإتجاه المكان المعهود من التنفس فيقول له السجان....

-يا حيوان ... يا كلب ...تعال...لهون....فيذهب أبو عمار الى عنده فيقول له ...هون وقف.....خمسة ..خمسة على صف واحد.... وعندما يكتمل خروج المهجع يقول السجان: ولاك عرصات....يمين دور ...الكل وجهه على الحيط وجالساً على الأرض ...(فيصبح وجهنا على حيط مهجع 27)...جالساً ولاك عرصات ....راسك في الأرض ...وايديك وراء ظهرك....وعيونك مغمضه....هنا من شدة التوتر ...والخوف ...والرعب...والجلوس هكذا جلسة ...والوضع النفسي التعيس في هكذا أجواء بالإضافة الى النومة غير الصحية على الأطلاق، فإن قسم من الناس أصبح لديه مرض الديسك.

- ولاك رئيس مهجع، طالع المعلم امبارحه...بعتوا لعندي لهون...........
- حاضر سيدي...المعلم يروح لعند حضرة الرقيب ....(ينهض سجين من السجناء فيقول حاضر سيدي...)
- هنت تعلمت امبارحه ....
- نعم سيدي ....
- لا مو انت يا عرصى ...هداك عمره أكبر منك
- لا سيدي ... أنا ...حضرتك علمتني بالليل البارحة

ليش طالع ع التواليت بالليل ولا...ليش ما بتعرف ممنوع الطلعة ....ممنوع الحركة ...ممنوع النفس -بالليل يا ابن العرص

- كنت متضايق كتير سيدي ...وأنا مريض سيدي ...طلعت غصبن عني.......
- قرب لعندي يا مني....والله لأني....أمك واختك ويهجم عليه بالكفوف والرفس واللكم ويأتي - سجان آخر ويباشر بضربه وشتمه أيضاَ..ترتفع الأصوات ...وتحتبس الأنفاس...ويخفق القلب...ويبدأ سجان آخر برفس الفقرات القطنية للناس الجالسة وظهرها منحني الى الأرض ومكشوفة للسجان ...فلا تسمع الا صوت ...آه من هنا ....يا يوب !...يا يوب !...من هناك ...ياالله...يارب ...يا الله...دخيلك يا سيدي...وتنقض الذئاب المتوحشة على بشر بائسة ...وتنقض الأوغاد على شباب من خيرة العباد...بين صوت هنا وآنين قادم من هناك...رفسني جلاد على أسفل ظهري، صرخت عالياَ من شدة الألم....فقال لي : واقفاَ ولاك....ولاك....تعال ....لعندي.......

...... حاضر سيدي....حاضر سيدي

قرب لعندي ......رفاع راسك ...اعتز بنفسك ولا ..إعتز بنفسك ولا....رفاع راسك...غمض عيونك.... ايديك ورى ضهرك.... رفاع راسك مليح...ولاك.....أحسن من هيك رفاع راسك....في الحقيقة... وبلمح البرق آتاني خاطر ... ومر أمامي شريط ...ماذا أفعل...! هل سأفقد عيني وأصبح أعمى أو أعور...هل سأفقد سمعي وأصبح أطرش...هل سأفقد أنفي....ماذا سوف أفقد...!؟ وفجأة فتحت عيوني قليلا وبلا شعور مني فرأيت الجلاد _ وبيده كرباج غليظ لونه أسود وطوله بحدود متر ونصف _ واقف على يميني...فقال عمّا تفتح عيونك ولا مو...عمّا تفتح

عيونك...والله لأعمل هيك وهيك فيك وفي...... ثم قال لي ....رفاع راسك وغمض عينيك وايديك ورى ضهرك...فنفذت طلبه قدر المستطاع...واذا بضربة قوية أليمة شديدة مباغته تأتيني على وجهي بشكل عرضي – تحزم وجهي حزماً – فتسيل الدماء من أنفي سيلاً ...فيقول لي ع المهجع ...ع المهجع دغري ...فوراً. ولاك جديد واقفاً. الكل ع المهجع ...واحد...واحد.. ما حدى يطاحش ولاك...واحد ..واحد ع المهجع يا حيوانات.

(إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور).

محطة تنفس في مهجع 8 :

الباحة الثانية أمام مهجع 8 صغيرة الحجم وضيقة نوعاً ما والزفت في الباحة خشن جداً وفيه نتوءات بارزة ومدببة فالمشي فيها حافيا كأنك تمشي على قزيز. في تنفس حامي الوطيس وشديد القسوة مع علو في النبرة. قال السجان مزمجراً ولاك 8 الكل يرفع بنطلونه لعند ركبه ...والكل جاثياً على ركبتيه ...الكل جاثياً على ركبه...والكل يرفع إيديه ...والكل يمشي (يفتل) في الباحة...الكل يفتل بسرعة...وإيديك فوق ...رفاع ايديك لفوق ...يا ولاد العرص...يا أولاد القحب.....الأرض وعرة ومليئة بالنتوءات والناس مستوية ومنهكة صحياً وبدنياً ولم تعد قادرة على تحمل مزيداً من الألم والعذاب.... لكن ماذا عساك أن تفعل!؟ لا شيء ...فالكل يجب أن ينفذ تعليمات حضرة الرقيب وزبانيته...في هذا التنفس الرهيب ...نحن نتألم من الأسفل ومن الأعلى...من الأسفل: الركب بدأت الدماء تسيل منها ...وألم شديد ينتاب الجميع. ومن الأعلى الكرابيج والكفوف والرفس والضرب والشتم من كل حدب وصوب...كأنك تسمع أصوات معركة وما هي بمعركة....!؟ ...وأنا كنت واحداً من بين هؤلاء البؤساء واذا بأحد الجلادين الغلاظ الشداد يأتي لجنبي ويستلمني ضرباً بالكرباج على يديَّ الهزيلتين النحيلتين والمرفوعتين بالكاد نحو الأعلى...استمر في ضربي على يدي وعلى رأسي أيضاً لكن كان يركز على أصابع يديَّ وأنا أمشي على ركبي حتى وصلت إلى مرحلة عدم الإستطاعة على رفع أصابعي .... وعندما دخلنا الى المهجع نظرت الى أصابع يدي فإذا هي حمراء على ازرقاق وبعض الدم جامد تحت الأظافر...وأظافر 4 أصابيع من يدي مقلوعة...لكنها لم تخرج من اللحم ... أصابع الوسطى والبنصر إنقلعوا من كلتا اليدين...أما باقي الأصابع فآثار الضرب واضح عليها لكنها لم تنقلع والحمد لله. إنقلعت أصابعي من مكان، لكن بقي قلبي عامراً بالإيمان، والحمد لله.

وهناك محطة فارقة ومميزة تميز الأرض عن السماء، سأرويها لكم لعلها تنقذنا من دنيا التيه وتخرجنا من من دنيا الأوهام.

محطة تنفس في مهجع 2/6

في يوم فريد وغريب وعجيب وصارخ ولاهب إمتد لهيبه الى عنان السماء ...وربما إحمرَّت فأرعدت فبكت حزناً وألماً على ناس أوفياء. طلبوا العُلى، فتسلط عليهم أوغاد أشقياء.........................

- ولاك جديد طلاع تنفس ......واحد... واحد............

- حاضر سيدي..............

- طالع رش المي في الباحة

- حاضر سيدي ....طلعوا 5 رشوا المي.....

– طلاع الكل ع التنفس واحد ....واحد ......

- أول واحد تعال لعندي ...ليش مفتح عيونك...

.... آخر واحد....تاع لعندي ......

ليش متأخر بالطلعة...........ولاك ....عاري الصدر ...شلاح السترة بسرعة ولاك ابن العرص ...ابن المنيو.....بسرعة شلاح عاري الصدر ومنبطحاً ع الآرض يا ابن.......ويبدأ إثنان من السجانة بالضرب ...كرباج بينزل ...كرباج بيطلع...كرباج بينزل ....كرباج بيطلع....هذا حال ...أبو سعيد ..فإننا نعرفه من صوته...متقدم بالعمر ...وضعيف الجسم والبنيان

رئيس الدورية جالس على كرسي بلاستيك صغير وعليه بشكيره (منشفه) فينادي رئيس المهجع

- ولا...كر .....رئيس المهجع....

- حاضر سيدي ....

- بعتلي واحد معه بشكيرة ولاك ابن.............فيخرج اليه واحد من أهل التنفس ويحضر اليه بشكير فيقول له الرقيب:

إمسح الكرسي (يكون هناك كرسي بلاستيك صغير ويتم وضع بشكيره عليه حتى يجلس الرقيب على الكرسي متى شاء، وهذه هي البشكيره التي حاولت أن أشيلها سابقاً ف إنفجَّ رأسي) ، إمسح الكرسي كيس (كويس) ولا...وبعد أن يمسحه يقول الرقيب للسجين: إمسح بوطي...!؟ إمسح بوطي ...!؟ شو ولاك ما سمعت ...فيتلعثم ويرتبك السجين ولا يعلم ماذا يفعل ؟! لكن في النهاية

وبكل الأحوال لا مهرب أمامه الا أن يمسح البوط بكل حرقة وألم وخدش للكبرياء ...كبرياء الرجولة وكبرياء الإنسانية ...!؟

أما أبو سعيد المسكين فما زال كرباج ينزل وكرباج يطلع حتى يصرخ بأعلى صوته .....كرمال الله ....كرمال محمد....فيقول له السجان: مين هاد الله ! ...ومين هاد محمد !....فيعود أبو سعيد يصرخ ويستغيث :.....كرمال الله...! كرمال محمد.....أبوس إيدك يا سيدي ...ابوس إجرك يا سيدي ...أبوس صباطك يا سيدي....فيقول له ...تعال: بوس صباطي ....تعال بوس صباطي حتى أعفي عنك ....فيقترب منه أبوسعيد ولكن في اللحظة الأخيرة يأبى فعل ذلك....فيعود الجلاد بضربه أكثر من المرة الأولى بأضعاف مضاعفة وهو يصرخ وينادي ويستغيث والألم والحزن والقهر يُفتت قلوب الجميع ...حتى وصل أبو سعيد الى درجة الانهيار فنادى بأعلى صوته...مشان الله ! مشان النبي ! أبوس إيدك ...أبوس صباطك ياحضرة الرقيب أبوس صباطك...فيقول له: تعال بوس صباطي ! فيقترب منه أبو سعيد ويبوس صباطه حتى يتوقف عن تعذيبه ...!؟

أيها السجان...! هل أنت إنسان ! هل أنت بشر !؟ أي مخلوق أنت يا هذا !؟ هل أنت بني آدم !؟ أشك في ذلك، بل أجزم بأنك لا تشبه البشر...أي مخلوق أنت حتى تظهر قوتك على إنسان أعزل ، ضعيف ، طاعن في السن ، سليب الإرادة، فاقد الحيلة وهزيل الكيان.

ما هي تركيبتك!؟ ما هو مبدؤك... !؟ ما هو دينك...!؟ حتى تجرؤ على طلب مثل هذا ، أيها الوغد الجبنان. ما هذا الانحطاط ! ما هذه الدناءة ! ما هذه الخِسَة ! ما هذه النذالة! ما هذه السقاطة ! ما هذا الحقد الذي ينهش أحشاءك حتى تتلفظ بهذه الموبقات ! كلما تذكرت هذه الحادثة المؤلمة الموجعة المبكية مع الأخ أبو سعيد، يهتز كياني وترتعد فرائصي وأحمل جبالاً من الحقد على هذا السجان وأمثاله من الأوغاد...أتمنى لو أن الأرض تبلعني ولا أتذكر هذا الموقف وانا أسمعه بأذني كيف يُناديه السَجّان فيرد أبو سعيد بأنين وعنين وحشرجة ...وكلمات ثقيلة و متقطعة يشيب لهولها الولدان.

– واقفاً ولاك جديد.....واحد ...واحد ع المهجع...........

فيهرع أفراد المهجع الى الداخل بسرعة البرق ...وظهورهم منحنية ...وايديهم وراء ظهورهم...وعيونهم مغمضة.......

– آخر واحد...يشد الباب ....شد الباب ولاك عرصى....شد ولاك منيك.....

– والله عما نشد ياسيدي..................

– تعال ولاك رئيس المهجع ...ما عما تشدو يا عرصات....رفاع راسك.....فيضربه كفوف على

وجهه وكم كرباج على رأسه ويقول له ...شد الباب كيّس...يا حيوان....يا ابن .....الحيوان..........

- حاضر سيدي ...استا عد...استا رح...استا عد...المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب ..... هنا تكون الناس مقرفزة قرفزة على رجليها لأنه ممنوع الجلوس حتى ينقفل الباب ...الحمد لله على السلامة يا شباب ...يقول رئيس المهجع ...الحمد على السلامة....فيأتي أيضاً قسم من الشباب الى رئيس المهجع والى غيره أيضاً ويقولوا لهم : الحمد لله على السلامة.

حالة التنفس تبدأ من الساعة التاسعة صباحاً ولا تنتهي هذه الحالة وتبعاتها الا بحدود الساعة 10:30 صباحاً. في هذا التوقيت، تبدأ حلقات التربية والتعليم لكافة العلوم تقريباً.

حلقات التربية والتعليم:

في هذه الفترة ما بين 10:30 -12:30 تبدأ حلقات التربية والتعليم. جلسات حفظ القرآن الكريم ، حلقات لسماع وحفظ السيرة النبوية الشريفة من الأخوة أبو رضا وأبو النور وغيرهم، وحلقات أصول الفقه وجلسات حفظ أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فهناك من يحفظ أحاديث الفتنة ومنهم من يحفظ الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالصلاة ومنهم أحاديث الجهاد ...كل باب من أبواب الحياة هناك من يحفظ له أحاديث، وجلسات لحفظ حكم ابن عطاء السكندري، وجلسات وحلقات اللغة العربية وحفظ ألفية ابن مالك في النحو والصرف (وكان متوفر منها بحدود 800 بيت ومطلعها:

قال محمد هو ابن مالك -----أحمد ربي الله خير مالك

كلامنا لفظ مفيد كإستقم----واسم وفعل ثم حرف الكلم

وقد حفظني ألفية ابن مالك الشاب المرحوم : بسام عجاج من دمشق (طالب طب بشري سنة ثالثة) وقد علمني الإعراب بطريقة عملية تطبيقية. وهناك حلقات شرح وحفظ العقيدة الطحاوية وحلقات فكرية بحتة يعطيها أبو عبيدة، حلقات تمريض واسعافات أوليه لطلاب الطب ومن يرغب بذلك بإشراف المسؤول الصحي ، جلسات أدبية قصصية وشعرية لأبي عبيدة وأبو القاف، في الرياضيات ...في الهندسة...في اللغة الأجنبية....في القانون ...كل فروع الدراسة كان فيها أشخاص موجودين بيننا...لذلك تستطيع أن تتلقى من العلوم ما تشاء وما ترغب. في الحقيقة، أنا كنت واحداً من بين

الذين يهتمون بالعلم. وكنت حريصاً على تلقي العلوم ولم أشبع منها بعد. لا تستغرب: **من ذاق عرف، ومن عرف اغترف**. فكنت حريصاً على وقتي كثيراً. وتأكدوا أنه لم يكن لدي وقت فراغ ع الإطلاق. بل كنّا نشتكي من ضيق الوقت. نعم...نعم...نحن في سجن تدمر ونشتكي من ضيق الوقت!

قد حفظت أيضاً كثيراً من القواعد الفقهية، منها على سبيل المثال:

- الحي أولى من الميت
- الأمور بمقاصدها (إنما الأعمال بالنيات)
- لا ضرر ولا ضرار
- الضرر يُزال
- لا يُزال ضرر بضرر
- الضرورات تبيح المحظورات
- تقدر الضرورة بقدرها
- اليقين لا يُبنى على شك
- اليقين لا يزول بالشك
- درء المفاسد مقدم على جلب المصالح
- يُنسب الأبن لأبيه
- الولد للفراش وللعاهر الحجر

ومن الجلسات الفكرية، مثلاً : ما هي أسباب الفرقة كان يعطيها (ع. حسين):

1- إختلاف في الفهم
2- إختلاف في التطبيق
3- العامل النفسي

ومن أحاديث الفتنة : حديث الرسول عليه الصلاة والسلام:

"بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا."

وجلسات الفقه معروفة لأخينا أبو الزيت وجلسات العقيدة الإسلامية لأخينا أبو حلب: صفات الله عز وجل ....مثلاً: ما معنى الصمد: القائم بذاته المقيم لغيره، الغني عمن سواه المفتقر اليه ما عداه ....هذه المعلومات من تلك الأيام في ذاكرتي والحمد لله...

ما هو تعريف التقوى: الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل (هذا تعريف واحد من تعاريف التقوى). ومن أقوال ابن عطاء:

أ- ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة

ب- من أشرقت بدايته، أشرقت نهايته

ج- ما بسقت أغصان ذل الا على بذر طمع

وكنا نستخدم الطبات (غطاء علبة الحلاوة) أو دفتر مصنوع من نايلون أكياس الخبز عندما بدأ خبز الفرن يأتينا بأكياس نايلون. (أرفق لكم صورة عن الطبة وعن الدفتر الذي كنا نستعمله في حفظ المعلومات). وهذا ممنوع منعاً باتاً ولكن من حرصنا ع العلم. والتعلم كنا نخاطر بهذه المخاطرة التي يمكن أن يكون ثمنها أن تدفع روحك أو طرفاً من أطراف جسمك.

تستمر هذه الدروس حتى 12:30 ظهراً تقريباً مالم يحدث طارئ، وما أدراك ما الطارئ !؟ هنا نقوم ونجهز المهجع ونحضر أنفسنا للتفقد اليومي.

شهر رمضان في سجن تدمر

بالإضافة الى القراءة المعهودة المعروفة للقرآن الكريم الا أنها تزداد في هذا الشهر الفضيل. كان التعذيب والتنكيل والشتم والضرب مستمر طوال شهر رمضان. ولا يُوجد أي فرق بين شهر رمضان وغيره من الشهور بل أحياناً في التنفس يجبرون بعض الشباب على شرب الماء.

ممنوع الصيام في سجن تدمر منعاً باتاً. لا يوجد شيء اسمه صيام لدى إدارة وزبانيته سجن تدمر. لكن مع كل هذا الترهيب والعدوانية من السجانة فلا أحد من السُجناء يفطر في رمضان الا المرضى.ولكن هناك غصة كبيرة لدى أهل تدمر في شهر رمضان. فهم يتذكرون جمّعة الأهل والأصحاب حول مائدة الطعام وصلاة التراويح وما يرافقها من فسحة في الزمان والمكان.........

في شهر رمضان يتم تجميع وجبات الطعام حتى وقت تدخيل وجبة العشاء ومن ثم يتم توزيع كامل طعام الوجبات الثلاثة على مجموعات الطعام. اذا كان الوقت شتاء يمكن أن يتناسب وقت تناول الطعام مع وقت الإفطار وبالتالي تكون الأمور سهلة لدينا نوعاً ما لأننا نقول للسجان بأن تدخيل طعام العشاء قد تأخر ونحن نتناول العشاء الآن فيشتم ويسب كثيراً ثم ينصرف. لكن اذا كان الوقت صيفاً فهنا الأمور تصبح صعبة للغاية.

هناك طرق كثيرة كنا نستخدمها لتناول وجبة الإفطار مع عدم نسيان مراقبة حركة حرس الشرطة فوق الشراقة (النافذة في السقف) لأنهم إذا أتوا على المهجع فستكون عقوبة كبيرة جداً لأن الصيام ممنوع.

من طرق الإفطار في رمضان:

1- لف سندويشة وبجانبك إبريق ماء لعدة أشخاص حواليك (وهذه أكثر الطرق إتباعاً ، واذا أتي السجان تلف السندويشة بقماش هريان). وكأنك غير صائم ولا تعرف الصيام.

2- أن تجلس في مكان مكشوف على الشراقة وصديقك في مكان مستور وهو يتناول الإفطار وعندما ينتهي من تناول الفطور يأتي الى مكانك وأنت تذهب الى المكان المستور لتناول الفطور.

3- وأحياناً يتم التناوب على شكل مجموعات .....المجموعة 1+2+3+4+5 تتناول الإفطار بينما المجموعة رقم6 + 7+8 +9+10 تنتظر في المكان المكشوف حتى تنتهي الدفعة الأولى ثم تأخذ مكانها لتناول الطعام. نحن نقوم بهذا الإجراء حتى لا يبقى المهجع فارغ فيعلم السجان بأننا الآن نتناول طعام الإفطار .... وهناك طرق كثيرة كنا نتبعها لتناول وجبة الإفطار في شهر رمضان المبارك.

السحور:

مشكلة الإفطار لا تقارن بمشكلة السحور ....مشكلة السحور يكون كل واحد نائم في مكانه. لذلك قبل النوم بقليل نجهز سندويشة ونلفها بنايلونه أو قماشة أو بشكيره وتضع هذه السندويشة في صدرك وتلفها وتنام...نحن ننام على عازل عسكري ونتغطى ببطانية. لكن البطانية نعملها على شكل كيس ونندحش بها لننام. ومساحة نومي عرضها : شبر و3 أصابيع ، فأين سأضع السندويشة ! أضعها في عبي وتنام معي في فراشي. واذا كنت من الأغنياء يكون عندي قنينة ماء. فأضع قنينة الماء معي في الفراش وتنام معي نوم الأوفياء. لا أستطيع أن أضع أي شيء خارج فرشتي لأن الحارس الليلي سوف يدعس عليهم أثناء تحركه لسقي العطشى والمرضى. وقت النوم في الشتاء الساعة 6 مساء وفي الصيف 9 مساء. عندما يحين وقت السحور يتسحر كل شخص في قلب البطانية. أي تحت البطانية، جواة البطانية. لأن الصيام ممنوع واذا رآه الجلاد مستيقظاً فسوف يعاقبه عقاباً شديداً لا يُحمد عقباه. لذلك تتناول السندويشة تحت البطانية واذا كان لديك قنينة ماء تشربها وتنوي الصيام .واذا لم يكن لديك قنينة ماء تعطي إشارة الى الحرس الليلي بأنك بحاجة الى شربة ماء ...فينتظر الحرس الوقت المناسب حتى يُقدم لك شربة الماء ...واذا كان الجو غير مناسب والجلاد يتمشى على سطح المهجع فتبقى بلا شربة ماء وتنام عطشان وتتمنى لو كان عندك قنينة ماء.

سحقاً يا سجن تدمر . تباً لطغاة تدمر ! لله درَّكَ يا مؤذن مدينة تدمر ، كم هيجت أشجاني ، ذكرتني أحبابي و خلاني !؟ آتُراكَ ما زلت تصدح قبل كل آذان فجر بهذه الآية الكريمة ولا شيء سواها على الإطلاق : " وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا."....ثم يرفع آذان الفجر ....معلناً وقت الإمساك .

بالنسبة لصدقة (زكاة الفطر) الفطر وكان مقدارها أقل من100 ليرة سورية فقد كانت تتم على الشكل التالي: أنت تعطيني صدقة الفطر فأقوم بإعطاء المبلغ الى أحمد، وأحمد يُعطي المبلغ الى محمود و محمود يُعطي المبلغ الى مصطفى وهكذا دواليك ينتقل المبلغ من شخص الى شخص حتى يشمل معظم المهجع إذا لم يكن المهجع بالكامل. نلجأ لهذه الطريقة لأن الناس ليس لديها نقود ولا مواد غذائية، فنقوم بتدوير نفس المبلغ بين سائر أفراد المهجع.

الصلاة في سجن تدمر

على الرغم من أن الصلاة فريضة تعبدية واضحة المعالم والأركان في الدين الإسلامي فإن إدارة سجن تدمر تمنع الصلاة منعاً باتاً. الصلاة ممنوعة في سجن تدمر على الرغم من وجود الآية الكريم الصريحة في أداء فريضة الصلاة: " إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً " سورة النساء . كيف كنّا نتحايل حتى نقوم بأداء هذه الفريضة :

اذا كان بعض أجزاء من المهجع مستورة فإننا نصلي في هذا المكان على شكل جماعات صغيرة أو كبيرة وبالتناوب. مثلاً: أبو هادي ، نايم تحت الشراقة في منطقة مكشوفة بينما أبو علي نائم في منطقة مستورة في المهجع فأرفع يدي الى الحرس الليلي من أجل الخروج الى التواليت فأذهب الى هناك وعندما أصل الى هناك يقوم أبو علي بالعودة الى مكاني حتى لا يبق فارغاً وينام في مكاني وأنا أصلي الصلاة المعروفة في المنطقة المستورة. هذه الطريقة محفوفة بالمخاطر جداً، واذا رآنا السجان فإن العقوبة مضاعفة لي ولأبي علي.

أحياناً، في فصل الشتاء نقوم بتسكير الشراقات (الشبابيك) بالنايلون بسبب المطر فيستطيع معظمنا آداء فريضة الصلاة بالشكل الصحيح وبأداء النوافل أيضاً .

لكن في المهاجع المكشوفة وهذا هو الغالب فكانت الناس تصلي بالإشارة وهي في حالة جلوس أو في حالة النوم. كيف ذلك ؟ صلاة الظهر والعصر والمغرب نصليها ونحن جلوس ويمكن أن تكون إشارة التكبير بكامل الرأس مع قليل من حركة الظهر .أما صلاة الفجر والعشاء فنكون داخل البطانية . لأننا نندحش في البطانية على شكل كيس مفتوح من الأعلى. لذلك تكون صلاتنا بإشارة بسيطة جداً بالرأس أو العيون . واذا رآك الحرس من الشراقة وأنت ترفع أو تحرك رأسك فتكون عقوبتك قاسية جداً ولا تتمناها لأحد. جميع أهل العلم في سجن تدمر أفتوا بفرضية أداء الصلاة وبعدم تركها وبأن تصليها بالطريقة التي تتناسب مع ظروف كل مهجع. والقاعدة الفقهية للشيخ هاشم مجذوب رحمه الله كانت معروفة لجميع سجناء تدمر:

" أهل مكة أدرى في شعابها ".

ومما كان يُثير الحزن والشجون، أنه كان لدينا مُخبر أو مفسد للسجانة أو لإدارة السجن واسمه: ضحوي من تل حميس بريف محافظة الحسكة. ضحوي كان في العشرينات من العمر وكان بتهمة حزب يمين. فكان يقول:

في التنفس أو بعد التفقد: حضرة الرقيب بدي أحكي معك –

– تعال إحكي شو ب تريد

– سيدي : هدول بيصلوا وهدول بيعطوا دروس

– رئيس المهجع ولاك .....تاع لعندي

– حاضر سيدي

قال: عما تصلوا ...وعما تعطوا دروس ولا ...ابن الشرمو.....ابن القحب....مع كم كف

– ...وكم رفسه............

– فيجيبه رئيس المهجع...يا سيدي ...نحن لا منصلي ولا عنا دروس ....المهجع نظامي ....ومتل ما بدك سيدي..........

في الحقيقة كان رئيس مهجعنا رجلاً تقياً ويحب أن نؤدي الصلاة على أكمل وجه وفي أحسن صورة. لذلك لجأ الى طريقة (وبموافقة أصحاب العلم) الى طريقة إعطاء ضحوي مزيداً من الطعام (نعطيه حصتين أو ثلاثة، ونعطيه أحس الملابس وأحيانا نريحه من التنفس فيبقى داخل المهجع) كل ذلك من أجل أن لا يُفسد علينا: أننا نصلي ونعطي الدروس. وظهرت آثار النعمة عليه. ولكن كما يقول المثل:" الطبع يغلب التطبع " . في إحدى المرات وفجأة وبدون مقدمات، ينط ضحوي من الصف ويقول:

– سيدي ي بدي أحكي معك...........

– تفضل إحكي ...شو ب تريد.....(وقتها كان المساعد أول محمد نعمة المسؤول المباشر

– عن السجن من المخرم فوقاني– مدينة حمص). إحكي يا ضحوي شو ب تريد ...سمعني يا سيدي ....هدول بيصلوا ....هدول بيعطوا دروس......هدول...... فيقول له المساعد:

– يا ضحوي ...مين عطاك هل بيجاما الجديدة ؟

– هم ..سيدي....هِنَّه

– مين عطاك ...هل القميص الكويس !؟

- هم سيدي .....هنه سيدي

- يا عرصى ...يا إبن الكلب...يا إبن الشرموط.....عطوك كلشي و جي تفسد عليهم...والله لأنيك..... إختك وإمك ...وبدأ الضرب واللكم والرفس في ضحوي من كل حدب وصوب ومن كل الجوانب....فما كان منه الا سمعنا أصواته قد عبت الباحة ..ويا ولم ...يا...ولم....وأدخله الى المهجع برفسة قوية نهشت مؤخرته النجسة الخبيثة....فدخل المهجع يتشقلب شقلبة ...ولا أحد من الناس إقترب منه ...أو قال له كلمة تواسيه ...بل بقي منبوذاً كالكلب الأجرب ...ونظرات الحقد والشماتة تلاحقه....ومن وقتها انتهى ملف المخبر والمفسد ضحوي في مهجعنا.

التفقد اليومي:

تقوم سخرة المهجع بضب (بجمع) العوازل وأحياناً شطف المهجع أو مسح المهجع بقطعة مبللة بالماء. وتضع أو تسند العوازل والبطانيات على الحيط (الجدار) الشرقي للمهجع ويبقى نصف المهجع أو الجدار الغربي للمهجع لكي نصطف فيه من أجل الوقوف للتفقد. هناك شخص يقف دائماً وراء الباب يراقب الحركة في الباحة وينقل لنا ما يجري من تطورات...وعندما يبدأ التفقد نسمع أصوات المهاجع التي قبلنا وهي تُقدم الصف وخاصة المهجع 25 يأتي الصوت واضح بالنسبة لنا تماما. هناك بعض من عناصر السخرة من يقوم بتهوية المهجع بالعوازل لطرد الروائح حتى لا يتحججوا علينا الزبانية ويقوموا بضربنا وشتمنا ورفسنا

التفقد يكون بإستلام نوبه (وردية) مكان نوبة أخرى من الشرطة (السجانة). وهو عبارة عن إستلام وتسليم لعدد المعتقلين في مهاجع سجن تدمر. وبالتالي يكون صاحب الوردية هو المسؤول عن السجن في هذا اليوم.

في التفقد يتألف كل صف من خمسة أشخاص، ثم يصطف خلفهم خمسة أشخاص ثم يصطف خلفهم خمسة أشخاص، كما يصطف العساكر أثناء الدورة العسكرية أو كما يصطف طلاب المدرسة قبل الدخول الى الصف مع فارق التشبيه. وبعد كل هذه الصفوف يأتي اصطفاف الناس المرضى بنفس الطريقة ولكن هؤلاء المرضى يكونوا جالسين على الأرض لأنهم مرضى ولا يستطيعون الوقوف على

أرجلهم ويكون مسؤول عن هؤلاء المرضى المسؤول الصحي بالدرجة الأولى.

- ولاك جديد....شد الباب ....ولاك عرصى....شد الباب كيس .....
- حاضر سيدي ...شدو الباب ....

– ينفتح الباب ...ويبقى مفتوح لمدة دقيقة أو دقيقتين فتكون الدورية قد دخلت الى المهجع . طبعاً نحن عيوننا في الأرض و ظهورنا للأسفل وعلى نسق واحد. يتكون عدد عناصر التفقد من الشرطة بين 5-7 أشخاص يدخلوا الى ضمن المهجع

– من أول دخولهم الى المهجع يبدؤوا بالقول: ك.....أمك يا رئيس المهجع على هل ريحه.....تفو عليكم على هل ريحه...واحد آخر يقول : ولاك جراثيم ...إنتو جراثيم ...إنتو صراصير ....إنتو مجرمين....إنتو خونة ... إنتو عملاء ....ومنهم من يضحك ويستهزئ بنا....فينتشروا في المهجع مباشرة ...وهناك عناصر أخرى خارج المهجع...وعناصر الحرس مع بواريدهم تمشي مع دورية التفقد خطوة بخطوة ولكن فوق أسطحة المهاجع لأنه تقريباً كل أسطحة مهاجع تدمر متواصلة بعضها مع بعض. فالدورية تنتقل من مهجع الى مهجع والحرس يتحرك معها تماما لكن فوق أسطحة المهاجع.

يقوم رئيس الدورية بتعداد أفراد المهجع ..100-105- ....كم واحد عندك ؟ رئيس

– المهجع ولا كر

فيقول رئيس المهجع: 186 حضرة الرقيب ..... واذا بالضرب على الرقبة...وعلى المحاشم ....وعلى الرأس حتى المرضى لا تسلم من شرورهم...بعض الناس يُغمى عليها من شدة الضربة فتقع على الأرض مباشرة ومنهم من ينكسر ضلعة من شدة الرفسة بالبوط العسكري...وهم يخرجون من المهجع في بطر ... وقهقهة....سكر الباب ولاك رئيس المهجع....شد الباب ولاك

– إنتبه....استا عد ...استا رح ...إستا عد ...المهجع إنتهى من التفقد حضرة الرقيب

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ، وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ " .انقَلَبُواْ فَكِهِينَ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ." سورة المطففين

وما أن ينتهي التفقد، حتى يجلس كل واحد منا في مكانه ليستريح قليلاً ويتفقد حال المصابين والمجروحين وأصحاب الأضلاع المكسرة....تكسير الضلوع كان منتشر جداً بين سجناء تدمر لأن السجانة يرفسون السجين على صدره بينما هو مغمض عينيه ورافع رأسه للأعلى...وأكلت كثيراً من الرفسات على أضلاعي مثلي مثل باقي الأخوة لكن الحمد لله لم تنكسر أضلاعي ولكن كانت تؤلمني جداً وخاصة أثناء الحركة نحو الأعلى والأسفل. بعد دقائق معدودة يقوم كل شخص منا الى مكان

نومه. مكان النوم هو المكان المخصص لك للجلوس وعندما يأتيك ضيف للعلم أو للنقاش أو للدردشة فإنك تجلسه في المكان المخصص لك للنوم، واذا كانوا أكثر من واحد فتطلب السماح من جارك حتى يجلسوا ضيوفك. لا تمضي الا فترة قصيرة جداً من الزمن بعد التفقد حتى يأتي وقت تدخيل طعام الغداء ....ويا ليته لم يكن هناك غداء ...؟!!

تدخيل طعام الغداء في سجن تدمر:

– جديد ولا....عرصى ابن العرصى ....
– حاضر سيدي ...(هنا نعرف بأنهم وزعوا الخبز وطعام الغداء لأننا نراقب الحركة من ثقوب باب المهجع ونسمع صوت البلدية وهي تركض ويصرخوا على بعضهم لنقل جاطات الطعام وأكياس أو بطانيات يحملون عليها خبز الصمون).
– شد الباب ولا ...كر ...ولاك ...جحش.....
– حاضر سيدي (تكون عناصر السخرة الأبطال ...كتيبة الفدائية واقفة بجانب رئيس المهجع ، على يده اليسار وبحدود 10 شباب فدائية ، يُلقون بأنفسهم نحو الموت خدمة لأهل المهجع كافة)
– رئيس المهجع ولا ...طالع 4 يدخلوا الخبز....... (**اليوم الخبز صمون وليس خبز عادي**)
– حاضر سيدي 4 يطلعوا يدخلوا الخبز 1: ،2، 3، 4 ....كافي أربعة ....المصيبة الصمون على البطانية ولازم ندخل 372 = 186 X 2 محطوط على الأرض ما هو

372 صمونة لصالح المهجع. لكن طوال فترة تدخيل الصمون: كرباج نازل على أبو علي كرباج طالع من على أبو نذار ..رفسة لأبو الزين ... خبطة ...لأبي الرشد...وعياط وصراخ يملئ الباحة ...بسرعة يا أولاد الشرموطة........والشباب يسرعون في تدخيل الخبز بسرعة ما بعدها سرعة فيشلفون الصمون شلفاً داخل المهجع....فالكرابيج تنهال على ظهورهم ورؤوسهم وأيديهم.....ويجب أن يعرفوا كم صمونة قام بتدخيلها كل شخص منهم. وما أن ينتهي تدخيل الخبز ....حتى يقول الشرطي:
– رئيس المهجع ولاك عرصى ... طالع 4 يدخلوا الغدا ولاك
– حاضر سيدي ....طلعوا 4 ثم يعد: 1 ،2، 3، 4

-...يا ويللو ال يكب مرقة من الجاط....والله لآني.....أمه ...وأخته ...ولاد ....الشرموطة.....

- يخرج 4 شباب ليدخلوا 2 جاط ثم يعودوا هم لتدخيل 2 جاط ...والضرب والرفس شغّال لا يتوقف ولا دقيقة وأنت يجب أن تكون متماسك وشجاع وبطل ولا تهاب الموت حتى تبقى متماسك ولا تكب الأكل أو يزحط الجاط فينسكب الطعام أو الحامض على الأرض فتصبح العقوبة شديدة جداً، وبنفس الوقت تبقى الناس بدون طعام.

هنت ولاك أبو البيجاما الزرقا... ليش كبيت برغل ...ليش شريت مرقة على الأرض ....

- ....تاع لعندي

- حاضر سيدي ....والله هو الجاط مكسور ....أنا ما كبيت شي....يا سيدي ....

- عما تكذبني يا أخو الشرمو.....والله لأني.......منبطحاً على الأرض ورفاع رجليك ....

- يا سيدي والله ما عملت شي ....

- متل ما عم قلك....منبطحاً ورفاع رجليك لفوق ولا....ابن الشرموطة..........

- حاضر سيدي ...حاضر سيدي ....

كرباج بنزل...كرباج بيطلع ...كرباج بينزل...كرباج بيطلع.....حسب مزاج السجان 20 كرباج -أو30 كرباج...أو أكثر

- واقفا ولا ...ع المهجع ....دغري .....ع المهجع ....

- شد الباب ولاك رئيس المهجع ....

- حضرة الرقيب .....

-...شو بدك ولاك عرصا ....

-... ناقصنا 100 صمونه ، حضرة الرقيب ....

- قديش اجاك ولا ! كم صمنه ؟

- نحن لازم يجبنا 370 صمونه ، سيدي لأنه نحن عددنا كتير ...نحن 186 واحد ....

- والله صاير عمّا تحسب وعمّا تحاسب يا أخو الشرموطة....تاع لهون ولاك رئيس المهجع ...راسك فوق ولاك عرص....كف ع اليمين ..كف على الشمال ...كف عل اليمين ...ما عما يأثر فيك مو ولاك عرصى.....منبطحا ع الأرض ولاك ورفاع رجليك والله لأني....أمك ...وأختك.....ويبدأ بسلخه كرابيج على رجليه ...ورئيس المهجع يصرخ...يا حضرة الرقيب...! يا .....حضرة الرقيب...والله ماني مساوي شي.........

– مانك متساوي شي ما هيك يا عرص.....خليك متشطح ...ثم يقوم هذا الجلاد بقفزة هوائية وينزل على ظهر رئيس المهجع فيصرخ بأعلى صوته....آه ضلعي....آه تكسرت .....ضلاعي...آه...........

فيقول الجلاد: واقفا ...ولاك رئيس المهجع ...إذا بقى بتعيده والله لأني......ربك......فيدخل رئيس المهجع......

– شد الباب يا عرصى ....

– حاضر حضرة الرقيب...ثم يتابع قائلاً: إنتبـــــــــه ...استا عدْ ...إستا رحْ ...استا عد... المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب.

وهنا يركض كثيراً من الناس الى رئيس المهجع والى عناصر السخرة (الفدائية) ليتفقدوا أحوالهم ويقولوا لهم الحمد لله على السلامة والألم والحزن والمرارة تعتصر قلوب الحاضرين ويخيم السكون والوجوم على هذا المشهد الحزين.

تناول الغداء في سجن تدمر

أحياناً يكون الغداء 2 جاط برغل ، وجاط أو 2 جاط بلاستيك مرقة بطاطا أو فاصولياء حب أبيض. لكن غالباً يأتي 3 جاطات وليس أربعة. تقوم سخرة الطعام بتوزيع هذه الكمية على صحون (زبدية) بلاستيك صغيرة. طبعاً نقوم بضب العوازل وصفها على شكل نسق من أول المهجع حتى آخره حتى لا تجلس الناس على الأرض الباردة، ثم تقوم الناس بالجلوس على شكل مجموعات. فتأتي عناصر سخرة الطعام وتقوم بتوزيع حصص الطعام الى المجموعات. مجموعة الطعام غالباً مؤلفة من 8 أشخاص ويمكن أن يكون العدد أقل من ذلك. يأتي غالبا صحن برغل مع صحن (زبدية) مرقة لكل مجموعة وأحياناً يكون 3 صحون للمجوعة الواحدة. بالنسبة للمرقة، غالبا تدور الصحن دواره حتى تلاقي حبة فاصولياء أو حبة بطاطا....وأحياناً يوم الأربعاء يأتي فروج على وجه البرغل...فتكون حصة الفرد مقدار ملعقة صغيرة للفرد الواحد من لحمة الدجاج. أما لحم غنم فلا يدخل المهجع الا بالسنين وأنا لا أذكر أننا تناولنا لحم غنم لكن أذكر أننا استفدنا يوماً ما من عظم لحم الغنم كأدوات لخدمة المهجع. كنا نتناول الغداء في البداية في أيدينا أو في قطع الخبز اذا توفر وكنا نبل الخبز بلاً في المرقة (الحامض).

في الحقيقة ، أنا لم أشعر بالشبع طوال فترة وجودي في السجن والتي إمتدت أعواماً طوالاً على الرغم من أنني من الناس الذين يأكلون أكلاً طبيعياً ولست شريهاً بالأكل. فكيف بمن كان شريهاً ! طبعاً الناس تحمد الله على كل حال...ثم تقوم سخرة الطعام بجمع الصحون الفارغة وتأخذها الى مكان الجلي وهو عبارة عن مكان آخر المهجع بجانب التواليت. نستخدم هذا المكان في النهار كمكان للجلي وغسيل الملابس ، وفي المساء نقوم بشطف المكان ونمده في العوازل وننام فيه. وفي هذا المكان الغالي على نفسي كثيراً حتى هذه اللحظة فقد شاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا مرتين. نعم، تكرمت برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين في المنام في هذا المكان بالذات. وبعد أن يتم جمع الفوارغ من كل المهجع تكون شباب السخرة قد باشرت بالجلي...والجلي يكون بالماء العادي مع قليل من الصابون أو الطي ...المهم أن يتم تنظيف الجاطات والصحون وأن لا يبقى عليهم آثار طعام وهذا ما يهم السجان. أما نحن فنعلم أن الصحون ليست مجليه على ما يرام ولكن ليس بالإمكان أفضل مما كان. ننتهي من الغداء مع الجلي بين الساعة 02:30 الى 03:00 ظهراً. هنا تبدأ حلقات العلم ويبدأ درس اللغة الإنكليزية بعون الله.

حلقات التربية والتعليم (عصراً):

تبدأ حلقات العلم لكافة الإختصاصات. فعندنا في المهجع شهادات علمية لكل الإختصاصات قرآن كريم– سيرة نبوية شريفه– فقه السيرة – أصول فقه – فقه الصلاة – تاريخ – عربي وإنكليزي. وكنت أقوم بتدرس مادة اللغة الإنكليزية من فترة دخولي الى سجن تدمر حتى خروجي منه. وكنت أعطي درس لغة إنكليزية دائماً في مثل هذا الوقت حتى صلاة العصر، أي مدة ساعة يومياً. والموعد دائماً قبل صلاة العصر بساعة سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاء. فهذا الوقت خصصته لإعطاء اللغة الإنكليزية وأحياناً يتم أحراجي فأعطي درساً بعد العصر أيضاً ولكن لفترة قصيرة. فكنت واحداً من الذين يعطوا ويأخذوا العلم. وكنت مهتماً بهذا الأمر قدر المستطاع. لذلك لم يكن لدي وقت فراغ. وكان من أشد طلابي حرصاً وعلماً هو أبو روان. فكان عنده 3 طبات (أغطية علب حلاوة) وأثناء التنفس أو التفتيش لا يقوم بمسح هذه الطبات فيترك دروس الإنكليزي مكتوبة على الطبات ويخبئهم بين الملابس ويضعهم في قلب البطانيات أثناء التنفس ...أو أثناء التفتيش واذا رأى أحد السجانين الطبات (لا سمح الله) فيكون مصيري أشد من الإعدام....حاولت مع أبو روان كثيرا لإلغاء الكتابة أثناء التنفس أو التفتيش لكن كل محاولاتي باءت بالفشل أمام رغبته في تعلم اللغة الإنكليزية. وكنت أسأل وأستفسر عمن يعرف لغة إنكليزية حتى أتعلم وأستفيد منه وأكثر إنسان إستفدت منه هو أبو طارق: قنصل سوريا في قبرص ولغته الإنكليزية جيده جداً وخاصة في مجال اللغة المحكية. بعد الدرس مباشرة يكون قد حانت صلاة العصر...فنقوم ونؤدي صلاة العصر ونجهز أنفسنا لتنفس العصر.

في إحدى المرات ...كنا صافين على دخول التواليت ...واحد ورى واحد ...ونحن جالسين على الأرض وجميع وجوهنا نحو الشمال لأن التواليت في الجهة الشمالية من المهجع... واذا بالشرطي يصرخ:

– ولاك رئيس المهجع

– حاضر سيدي (ويخبط برجله على الأرض حاضر سيدي ، حاضر حضرة الرقيب)

– هدول ليش صافين هيك...ولاك عرص ...ولاك إبن الشرمو

– هدول صافين على الدورة سيدي ...واحد ورى واحد

– هنت كذاب ولا...هدول عمَّا يصلوا ...عمَّا تصلوا ولا ....يا مناي

- يا سيدي والله ...صافين ع الدورة ...وبعدين يا سيدي... هدول صافين ع هي الجهة ياسيدي

- شو جهة وما جهة ولاك ابن القحب.....هدول ....علمون (ضع إشارة عليهم) وبكرى الصبح بتطالعهم على التنفس والله لأنيك...أمكم وأختكم ياولاد......القحبة.....يا ولاد .....الشرموطة.....يا............

- حاضر سيدي ...حاضر حضرة الرقيب............

في كثير من المرات يكون السجان فوق المهجع ويمشي على رؤوس أصابع رجلية ويتلقس تلقيس حتى ما حدى يسمع صوته حتى يشوف شو عما نشتغل في المهجع ...وكيف نعيش ...ويقول لرئيس المهجع:

- ولاك عرصى ...رئيس المهجع ...تا ع لعندي

-حاضر سيدي ...حاضر حضرة الرقيب ....

- شو عما تساوي هنت ولا ...عما تصلي ما هيك ...هنت أبو البيجاما الحمرا ....

- حاضر سيدي ...والله ما عما أساوي شي ...قاعد محلي ...ما عما أصلي ....

- شلاح بالشورت ولاك عرصى ....شلاح بالشورت .....ومنبطحاً على الأرض ... أنت التاني الي على يمينو...شلاح بالشورت ولاك عرصات ...وتشطح فوقوا ...وأنت الثالث شلاح وتشطح فوقه....وهنت ولا ....أبو البيجاما السودا تا ع لعندي وشلاح بالشورت ...فيشلح بالشوت...تشطح فوقهم....يبقى واقفا ولم يتشطح فوقهم....تشطح فوقهم ...ولكن أخانا أبو البيجاما السودا ... أبو عبدو ...لا يتحرك ولا ينفذ تعليمات السجان...فيزبد السجان ويرعد ... لكن بدون فائدة...وأخينا أبو عبدو ...لا يتحرك من مكانه ...ولا ينفذ تعليمات السجان ...فيجن جنون السجان وهو يكفر ويشتم ويتوعد ...ثم ينصرف خائباً ويطلب من رئيس المهجع أن يُعلم صديقنا أبو البجاما السودا / أبو عبدو. لكن أبو عبدو لم يكترث بهذا الأمر وقال : حبل المشنقة أهون علي من أن ألبي هذا الطلب لهذا الخنزير، منيته على حاله، شو ما بدو يساوي.............

التنفس عصراً

يكون هناك تنفس عصراً في وقت الصيف أما في عز الشتاء فلا يوجد هناك تنفس عصراً. التنفس عصراً يكون بين 4:30 و 5:30 و يستمر غالباً لفترة 20-15 دقيقة.

- ولاك رئيس المهجع ...ولاك عرص .....شد الباب...................

- حاضر سيدي...شدوا الباب............

- طالع خمسة يرشوا الباحة مي........

- حاضر سيدي ...1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ....كافي... الباقي يصف على الحيط جنبي .....على يساري... ينتهي 5 فدائية من بخ الباحة بالماء فيصطفوا على الحيط ووجوههم باتجاه الجدار وناصيتهم مستندة عليه، ولكن السجان اللعين لا ينساهم من رفسات عنيفة ومن دج رؤوسهم على الحيط حتى تخرج البعجورات (البعكورات) من جبينهم ومن رؤوسهم ثم يقولوا لهم ع المهجع ولاك عرصات...ولاك مناي.....ثم يطلب السجان خمسة آخرين ليبخوا الباحة .... وكانت الباحة أرض ملتهبة من شدة الحرارة ونحن حفاة ونريد أن نبقى حفاة لأنه من ينسى أو يفقد شحاطته أثناء التنفس فإنه يتعذب عذاباً شديداً وربما يحمل شحاطته في فمه الى داخل المهجع..... درجة الحرارة عالية جداً في صحراء تدمر وربما تصل الى الخمسين فترى الماء التي نرشها تتبخر من على الأرض مباشرة ....دخلوا البيدونات على المهجع ولاك عرصات...ولاك أخوات رئيس المهجع ولاك ......طلاع واحد ...واحد ع التنفس يا ولاد القحب.....يا ولاد

- الشرموطة..........

- حاضر سيدي ...طلاع ع التنفس واحد...واحد .... وراسكم بالأرض يا شباب ..... وتخرج الناس ع التنفس وبدلاً من أن نأخذ قسطاً من التنفس ينتابنا قطع تنفس من هول الموقف وضعف الحيلة وصراخ من هنا وأنين قادم من هناك.

عادة نقوم بالتنفس خلف المهجع 33 في الباحة السادسة والحرس فوقنا على سطح مهجع 33 وأحيانا يكون على سطح مهجع 27 أيضاً.....آخر واحد ولا ...تاع لعندي ...آخر واحد تاع ... لعندي

- حاضر سيدي ...حاضر حضرة الرقيب

- ليش إنت متأخر ولا.................

- سيدي أنا ماشي ورا رفقاتي ...ماشي ع الدور سيدي.................

- هنت ها بتفهم ولا ... مد ايديك....قلبهوم ع القفى ...خللي ايديك على القفى يا ابن الشرموطة....وعيونك مغمضة وراسك بالأرض يا ابن القحبة ....

- حاضر سيدي ...حاضر حضرة الرقيب

- ويبدأ السجان بالكرباج بضرب أبي طاهر على قفى يديه حتى تتورم وهو يصرخ ويستغيث ويأتي سجان آخر ويقول تاع رئيس المهجع ولا ... ليش الصوت عندك عالي في المهجع ...ليش المهجع عندك فوضوي ...ليش..!؟

- رئيس المهجع: حاضر سيدي ...والله المهجع ساكت ولا حدى بيحكي ....ولا حدى بيرفع صوته ...سيدي

- كذاب هنت ولا ...كذاب هنت ولا ...إنت أخو...شرمو.....أخو ..قحب..ويضربه بالكفوف

- والله يا سيدي المهجع نظامي وما حدى بستجري يتنفس............

-كذاب ولاك عرص ...يالله شلاح عاري الصدر ولاك كلب....منبطحاً لأشوف

-يا سيدي والله ماني عامل شي ...والله ماني مساوي شي

- هنت ...أبتفهم ولا...عاري الصدر ومنبطحاً ...أحسن ما أموتك....تمدد على طولك يا عرصا

-حاضر سيدي ....عاري الصدر ومستلقي على الأرض على طوله...............

-كرباج نازل ...كرباج طالع على ظهر أبو حمود............

- يا سيدي دخيلك ...يا سيدي التوبة...يا سيدي والله ما ني عامل شي

-كرباج ينزل وكرباح يصعد مع شتم وسب لا يوصف....حتى لم نعد نسمع صوتاً لرئيس المهجع واقفاً ولاك رئيس المهجع....لبيس بيجامتك ...والله اذا بسمع صوت عندك تاني مرة لأني.....أمك وأختك

- حاضر سيدي ....ويلتحق بالمهجع وهو يدور حول نفسه في باحة التنفس فيصرخ السجان مزمجراً :ولاك مهجع ...ولاك عرصات...واقفاً ...واحد ...واحد ع المهجع...هنت ولا ...تاع لعندي ...هنت ليش عما تطاحش ع الدخلة ...تاع لعندي ...يا ابن الشرموطة....يا ابن القحبة....\.........

- سيدي والله ما عما أطاحش ...أنا داخل بدوري.............

عما تكذبني ولا ...أخو الشرمو...أخو القحب.....رفاع راسك ولا ....ويبدأ بسلخه كفوف

....تنبخش منها طبلة الأذنين لأخينا أبو الزين ... ثم يقول له تابع ع المهجع يا ....كر........

– رئيس المهجع ولا ... شد الباب............

– حاضر سيدي ...شدوا الباب يا شباب ....إنتبـــــــه ...استا عد ...إستا رح ...استا عد ...المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب .....وما أن يتم إغلاق الباب .....حتى الجميع يقول: الحمد لله ع السلامة يا شباب ...الحمد لله ع السلامة...

ويركض قسم من شباب المهجع نحو أبو طاهر وأبو الزين ورئيس المهجع أبو حمود....ليطمئنوا على صحتهم...وكانت هذه الزيارات المباشرة والسريعة مع حز من التفاح أو ربع برتقانة أو بدون أي شيء الى أي مصاب أو مجروح تُعتبر مثل الدواء ويكون وقعها النفسي مفيداً جداً للمريض. طبعاً، يأتي المسؤول الصحي أول الناس ويتفقد المصابين الواحد تلو الآخر ويطمئن على صحتهم. فمن كان بحاجة الى خياط أو معالجة يقوم باللازم، واذا لم تكن هناك حاجه يحمد الله ثم يعود الى مكانه المحبب اليه وهو تصليح أحذية التواليت فهو متل الدكتور مانيت في قصة مدينتين دائماً يقوم بتصليح الأحذية وخياطة الجاطات المكسورة وترقيعها وسحب خيطان النايلون وله هوايات أدبية أخرى.........

وأنا واحد من الناس حاولت القيام بالواجب فقمت بزيارتهم وجلست مع آخر واحد منهم وكان من نصيب رئيس المهجع أبو حمود...فحمدت الله على سلامته...أبو حمود عريض المنكبين ...طويل القامة...والله لم أر ظهراً يشبه ظهر أبي حمود في حياتي ...كانت آثار الكرابيج على ظهره واضحة تماماً ومرسومة على بشرته بشكل طولي ومنها بشكل عرضي ...فكان ظهره أحمر على أزرق . ..ألوان متعددة... وبشكل مخيف ومرعب جداً ...فقلت له الحمد لله على السلامة ...أجر وعافية يا أبو حمود ...أجر وعافية إن شاء الله ...فقال لي يا أبو هادي ..وتنهد تنهيدة من أعماق قلبه....يا أبو هادي ...المشكلة مو هون بس....المشكلة إنه ...أنا فقدت فحولتي أيضاً ...فقد وضعوا الكهرباء كثيراً وطويلاً أثناء التحقيق في المنطقة الحساسة من جسمي؛ وأنا فقدت فحولتي...نعم لقد فقدت رجولتي يا صاحبي. قالها لي والألم يعتصر فؤادي قبل فؤاده....ورأيت مسحة الحزن والكآبة على محياه الجميل ...فتألمت وحزنت كثيراً على مصابه ...وهونت عليه كثيراً قدر المستطاع ومنذ ذلك الحين؛ أصبح لأبي حمود مكانة خاصة عندي في القلب والوجدان.

بعد تنفس العصر:

بعد التنفس بقليل تبدأ دورات وحلقات التربية والتعليم. وهي تكون عادة تكملة واستمرارية لحلقات ودورات الصباح وقبل العصر . ومنها مواعيد جديدة لتلقي أية علوم: علوم القرآن والسيرة النبوية الشريفة، وتثبيت لسور القرآن الكريم وتعلم اللغات؛ فقه السيرة وعلوم أخرى متنوعة وكثيرة ، ونستمر ....في هذه الحالة حتى يأتي موعد تدخيل طعام العشاء.

طعام العشاء

تدخيل طعام العشاء في فصل الصيف غالباً يكون بعد الساعة السادسة مساء بقليل

– ولاك رئيس المهجع.....ولاك مني.....ولاك ...عرصى

–حاضر سيدي....شدوا الباب ...شدوا الباب ميكن

– دخل العشا والدوسير يا عرصى

– حاضر سيدي ....دخلوا العشا والدوسير..............

– يخرج أربعة شباب من الفدائية لتدخيل العشاء والدوسير...........

– فيستلموهم بالضرب على الظهور والرؤوس والشتم ....والرفس...واللبط....ثم يقول لأحدهم :

.... وقف عندك ليش كبيت شوربه (لماذا أرقت الشوربة ع الأرض)

– يا سيدي والله لحاله انكبت.......

– تاع لعندي لكن.....رفاع وجهك ...إعتد بنفسك....راسك لفوق ....ويضربه كفوف على وجهه بأقوى ما يستطيع ...ثم يقول له ....مد ايديك حتى تتعلم ما تكب شوربه ...مد إيدك يا ابن ....القحب....ياابن الشرموط

–حاضر سيدي...حاضر سيدي

– فيضربه بالكرباج على يديه حتى تتورم.....وهو يتلفظ بأبشع الشتائم والمسبات ....بحق العباد وبحق رب العباد ... ثم يصرخ مزمجراً : ع المهجع ولاك عرصا ... ع المهجع ....شد الباب .... ولاك رئيس المهجع

– حاضر سيدي ....شدوا الباب ....استا عد...استا رح...استا عد ...المهجع إنتهى من التفتيش حضرة الرقيب...فيقول الناس لبعضهم الحمد لله على السلامة : إنتهى هذا اليوم و لبكرى الله بدبرها ...وقسم من الشباب يأتي الى أخينا الفدائي ليطمئنوا عليه ويواسوه ويهدونه ما تيسر: حز برتقالة أو نصيباً من التفاح .

طعام العشاء:

يكون غالباً من شوربة أو بطاطا مسلوقة أو حمص مسلوق أو شوربة فاصولياء وأحياناً حلاوة . أما الدوسير فيكون إما برتقال أو تفاح وبكميات قليلة جداً. تقوم سخرة الطعام بتوزيع الطعام على المجموعات فيكون نصيب كل مجموعة صحن من الشورية أو البطاطا وصحن الدوسير فيه بعض حبات البرتقال أو التفاح. في أحيان كثيرة، كنا لا نوزع الدوسير لأنه قليل. فتقول أنت تأخذ حصتي اليوم وأنا أخذ حصتك غداً أو بعد غد بمشيئة الله حتى تبقى التفاحة سليمة (صاغ) ونستطيع الإحتفاظ بها ليوم أو أكثر حتى نتناولها في السحور تحت البطانية أو تكون من نصيب أحد الشباب الذين تعرضوا لتعذيب شديد فتكون هدية له في مصابه ونوعاً من العرفان.

بعد تناول العشاء يتم جمع الصحون وأخذها الى مكان الجلي وتكون سخرة الجلي منهمكة ومشغولة بالجلي حتى تنتهي قبل آذان المغرب. تقريباً ينتهي تناول العشاء مع إقتراب آذان المغرب. فنؤدي صلاة الفريضة بالطريقة التي نستطيع فيها أداء الصلاة ف " **أهل مكة أدرى في شعابها** ".

وقت المساء في سجن تدمر:

بعد صلاة المغرب ينتشر الناس في أرجاء المهجع فقد تم إغلاق الباب ولن يقوموا بفتحه الا في صباح الغد وحتى ذلك الحين يخلق الله ما يشاء. فكانت الأمسيات ودية وصادقة وحبية ولا فائدة ولا ضرورة ولا داعي ل الكذب واللف والدوران. فأما الإنسان يتكلم الحقيقة الساطعة كما جرت معه أو يسكت ويتفادى الموضوع الذي يشعر فيه حرج أو ضيق. لكن أقول وبمنتهى الصدق والنزاهة أن الناس كانت صادقة فيما تقول وكانت مخلصة فيما تقول وتتكلم وتروي قصصاً لا مثيل لها في الخيال، لكنها واقع عملي مكتمل الأركان. فكانت الناس لا ترى الا الموت أمامها فلا داعي للمواربة ولا لأية أشياء أخرى على الإطلاق ....هذا الكلام يتماشى مع وضع المهجع إذا لم يحصل طارئ يُعكر صفو المساء ويقلب الأمور رأساً على عقب. وهذا؛ قلما تجري الأمور كما نشتهي ونريد.

التقيت طوال فترة اعتقالي في سجن تدمر مع رجال تحمل التهم التالي:

1- تهمة إخوان مسلمين. وهم الأغلبية الساحقة من السجناء
2- تهمة حزب البعث العربي الإشتراكي - جناح اليمين (المؤيد ل صدام حسين)
3- تهمة حزب التحرير الإسلامي. واحد التقيته: اسمه قاسم جراد من الترمبه - محافظة إدلب لكن اعتقل بتهمة إخوان.
4- شاب واحد من الطائفة النصيرية _ بتهمة إخوان : اسمه عبد الرحمن الحموي – مدينة دمشق
5- رجل واحد من الطائفة الإسماعيلية ، بتهمة إخوان واسمه: عقاب الساروت من السلمية ، حماه
6- رجل واحد من الطائفة اليزيديه واسمه : حسين.....من منطقة سنجار
7- أربعة شباب دروز من طائفة الموحدين : من مدينة صلخد – محافظة السويداء بتهمة حزب البعث جناح اليمين (العراق) .

بالنسبة لي، قبل دخولي الى السجن كنت أهتم بالمطالعة والرياضة أيضاً وقد قرأت بعض الكتب الفكرية من بينها: نقض أوهام المادية الجدلية، حوار مع صديقي الملحد ، والخطوط العريضة للأثني عشرية وغالبية كتب الفكر الشيوعي وقد اشتريتها من معرض دمشق الدولي وقرأت غيرهم من الكتب الأخرى. فكان هذا الميل موجود عندي سابقاً وتابعته ونمّيّته في السجن مع شباب تهتم بذلك ومع شباب من طوائف متعددة ومتنوعة، وكانت أحاديثنا ودية وصادقة والهدف منها وضع الأمور في نصابها، وتوضيح الحقيقة من أصحاب الشأن وليس من الكتب فقط.

وإليك نماذج من تلك النقاشات الفكرية التي أجريتها شخصياً مع عدد من نزلاء سجن تدمر.

❖

في شتاء عام 1989- 1988 القارس وفي مهجع 6/2 (جديد سادسة) من سجن تدمر، كنت أطلب النصح و الإرشاد من بعض الأخوة وذات مساء كان من نصيب الأخ: **خلف الخليف** من ناحية إصبيخان ، محافظة دير الزور. وهو شخص محترم من مجموعة كبيرة تم اعتقالهم من إصبيخان ومن بينهم الأخ: هجيج بندر جعيفص الخميس. جلست معه جلسة قصيرة بعد صلاة المغرب بقليل وكلٌ منَّا يلتحف بطانية ليدفئ بها جسمه النحيل. فقلت له هامساً: أفيدني وانصحني يا أخي، فأجابني باستحياء وأدب جمٍ بعد إلحاح مني: أقول لك نصيحة رسول الله ل عبد الله بن عمر" .....كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء."

في الصباح الباكر لهذه الليلة بالذات، نادى السجّان على الأخ: خلف (أبو محمد) أن يجهز نفسه للخروج من المهجع. لكن الى أين؟! الى ساحة الإعدام ، الى ساحة الشهادة ليلقى الأحبة : محمداً و صحبه . لقد فارقنا أبو محمد وعلامات الرضى والتسليم ترتسم على محياه الأسمر الجميل ... نعم لقد رحل أبو محمد وبقيت انا غريب الديار...!؟

❖

الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين أو الطليعة الإسلامية المقاتلة. التقيت مع 6 أشخاص: عصام وزان/ أبو عبدو، محمد أبو النصر براجكلي بن مصطفى/ أبو النصر، طاهر العلو/ أبو رياض ، أحمد بكري كعكة/ أبو الوفا، حسام الدين دع/ أبو الزين وأحمد زعرور.

أما قصة أحمد زعرور فقد سلمته الحكومة الأردنية الى الحكومة السورية مُقابل أشخاص آخرين (تمت مبادلة بين الحكومتين وهذا ما قاله لي).وجميع هؤلاء الشباب الستة من مدينة حلب. في الحقيقة جلست طويلاً وتناقشت كثيراً مع شباب الطليعة وكانت علاقتي معهم قوية وممتازة. باختصار شديد: هم طلاب آخرة وليسوا طلاب دنيا. وقد قدموا كل ما يملكون نصرة لهذا الدين. كيف تم اعتقالهم...!؟ سمعت من الشباب الخمسة الآنفة ذكرهم وبشكل خاص من أبو النصر (فهو كان أكثرهم وعياً ونضجاً فكرياً وحركياً وكان والده قاضياً) حيث قال لي الآتي: حدثت خلافات بين القيادات خارج سوريا في العراق وفي الأردن أيضاً حول الأحداث في سوريا في تلك الفترة ومن هو

المتسبب في ما آلت اليه الأمور وما ترتب عليها من نتائج. الخلافات حصلت بين عدنان عقله من جهة (الطليعة) و عدنان سعد الدين و عبد الله الطنطاوي والبيانوني من جهة أخرى (الإخوان). خلافات حول العمل المسلح وتوقيته وكيفيته وطبيعته واستمراريته، في النهاية قرر قائد الطليعة المهندس: عدنان عقله (متزوج بنت الشيخ طاهر خير الله – خطيب جامع الروضة في مدينة حلب) أن ينزل من الأردن الى تركيا ومنها الى سوريا لمواصلة الجهاد في الداخل السوري وقد كان هو موجود في الأردن آخر المطاف. في الأردن كان عدنان عقله يمشي ويُصاحب الطبيب غسان أبا زيد من درعا وهو عضو معه في الطليعة لكن غسان أبا زيد كان عميل للمخابرات السورية بدون معرفة عدنان عقله وزملاءه. وعندما قرروا النزول من الأردن الى سوريا عن طريق تركيا. سافروا بالطائرة من الأردن الى تركيا ومن تركيا الى سوريا عبر حدود محافظة إدلب وفي منطقة الشغر بالتحديد. وكان بانتظارهم في أول الحدود السورية عنصر منهم، من الطليعة ومعه بعض المهربين. هذا العنصر الذي كان ينتظرهم داخل الحدود السورية مع بعض المهربين إسمه: جهاد دندش وكان يتعامل مع المخابرات السورية أما المهربين معه فكانوا من عناصر المخابرات أيضاً. فكانت تنزل جماعات من الطليعة من الأردن الى تركيا ومن ثم الى سوريا فيقوم جهاد دندش باستقبالهم وكانوا يشترطون عليه أن يسلمهم سلاح فور دخولهم الى الأراضي السورية فيقوم بتسليمهم مسدسات بلا إبر. مسدس بلا إبره له، أي مسدس عديم الفائدة، مسدس خُلبي. فعندما كان يستلمهم أول الحدود يقوم بتسليمهم مسدسات بلا إبرة وعندما يصلوا الى المكان المتفق عليه يكون كمين من المخابرات في انتظارهم فيقوم شباب الطليعة بسحب السلاح للدفاع عن النفس وإذا بسلاحهم لا يُطلق نار لأنه بلا إبرة، فيتمكن عناصر المخابرات من اعتقالهم بهذه الطريقة الماكرة. وقد تمكن عناصر المخابرات من إحضار مجموعة ورى مجموعة من أفراد الطليعة دون أن يعرفوا أن إخوتهم تعتقلهم المخابرات. وقد تمكنت المخابرات السورية من اعتقال عدنان عقله وقسم من شبابه بهذه الطريقة. وقد رقصوا المخابرات على الطاولات في مكاتبهم وهم يقولون: العصفور في القفص، العصفور في القفص لحظة إلقاء القبض على عدنان عقله. بعد إعتقال عدنان عقله أتت مجموعة أو مجموعتين بعده وقد تم اعتقالهم بنفس الطريقة. لكن بالأخير عرفوا في الأردن أنه يُنصب كمين لهؤلاء الشباب ويتم اعتقالهم داخل سوريا ولذلك توقفوا عن إرسال مجموعات جديدة الى الداخل السوري. وشباب الطليعة رجحوا سبب اعتقالهم المباشر الى : غسان أبا زيد في الأردن وجهاد دندش في سوريا (على الحدود). عدنان عقله لم يأتي الى سجن تدمر وبقي لدى المخابرات، أين ؟ لا أعلم. وهناك شباب من الطليعة كانوا في مهاجع أخرى أيضاً. وكان في سجن تدمر بحدود 40-45 شاب من

الطليعة وبمهاجع مختلفة. وبعد خروجي من السجن سمعت وشاهدت أن غسان أبا زيد قد أصبح عضواً من أعضاء مجلس الشعب. أما جهاد دندش فلم أسمع ولا أعلم عنه شيء...!

ومن الأقوال التي كان يذكرها لي أبو النصر دائماً:

أنصاف الحلول لأنصاف الرجال

أرض التنازلات أرض زلقة

ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب

نحن نريد مرضاة الله فقط

هناك سرقة للثورات ، مثال على ذلك :ما حصل في الجزائر. هناك بزخ لدى الفاسدين خارج البلاد..... وقد تم إعدام جميع شباب الطليعة في سجن تدمر.

على أثر انتشار قسم من هذا الكلام بين السجناء داخل المهجع فقد حصلت بعض الخلافات بين شباب من الإخوان وشباب من الطليعة ...ف اشتدت قليلاً ...ثم هدأت ....ولكن تم تلافي الموضوع ولم تتطور الأمور بفضل حرص الطرفين على وحدة الصف وبمساعدة العقلاء من أهل المهجع. فكانت النتائج سليمة والحمد لله.

❖

تهمة حزب البعث العربي الاشتراكي : جناح يمين مؤيد للعراق. وهؤلاء كانوا بشكل عام يحبون الرئيس صدام حسين ويدافعون عنه. لكن في الواقع كان التعايش بينهم وبين جماعة الإخوان جيد جداً فكانوا يحفظون القرآن ويؤدون الفرائض وليس بإمكانك أن تميزهم عن أصحاب التهم الإسلامية. بشكل عام كانوا سوية في كل شيء مع بعض الاستثناءات القليلة جداً.

❖

رجل واحد من الطائفة اليزيدية واسمه : حسين.....من منطقة سنجار. كان لا يتكلم مع أحد على الإطلاق وإذا كلمته لا يرد عليك وحاولت كثيراً أن أتناقش معه لكنه لم يكن يتكلم مع أحد ويجلس في مكان واحد مخصص له والمسؤول الصحي لا يُخرجه الى التنفس ويأكل لوحده. ولا أحد من الناس كان يزعجه أبداً. وقال لي شخص يسكن قريباً منهم: إنهم يعبدون الشيطان أو الطاووس,

وأحياناً نرى حسين يمد يده ويرسم على الأرض وكأنه يُحيط نفسه من شيء ما. وكان وجوده أو عدم وجوده سواء لأنه كان لا يفعل أي شيء على الإطلاق لا لنفسه ولا لغيره.

❖

– **أربعة شباب من طائفة الموحدين (الدروز)** من مدينة صلخد – محافظة السويداء بتهمة حزب بعث يمين. أسماؤهم: إسماعيل الحجلي (صحفي بجريدة لبنانية)و إحسان الحلبي (أبو علاء) و سمير نعيم و أخيه فوزت نعيم. وكانت تهمتهم تفجير أو تهمة تفجير تمثال الرئيس في السويداء أو صلخد. كنت أجلس جلسات مع الصحفي إسماعيل أبو محمد ونتكلم عن الصحافة اللبنانية . أما إحسان / أبو علاء فقد كنت أتناقش معهم في أمور الاعتقاد والعقيدة لدي الدروز وما هو دينهم. ومما قاله لي: أن مؤسس طائفتهم هو نشتاكين الدرزي. بلوغ الأربعين عاماً هو سن التكليف لديهم. وهو العمر الذي تتوجب فيه العبادة على الإنسان. وهم يؤمنون بالتقمص وهو إنتقال الروح من جسد إنسان متوفي الى شخص آخر حديث الولادة أو أي مخلوق آخر.

❖

رجل واحد من الطائفة الإسماعيلية ، بتهمة إخوان واسمه: عقاب الساروت من السلمية –حماه. وهو ضابط في الجيش برتبة رائد وقد نقلوه الى التدريب الجامعي هو وأحمد خريطه/ رتبة : مقدم من الزبداني . وعندما دخلت مهجع 8 كان السيد: عقاب الساروت هو رئيس المهجع. وهو مكنى : أبو النصر وكان لا يسمع جيداً بسبب التعذيب وضربه على وجهه وأذنيه مما سبب له تعذيباً وضرباً أشد فما كان من المسؤول الصحي وبعض الشباب الطيبة الا أن طلبوا منه الاستقالة بسبب مرضه وقد لبى دعوتهم إحتراماً لهم ولأنها مطالب موافقة للشرع أيضاً. يبلغ الخمسين عاماً من العمر في ذلك الحين وأكثر . متزوج وعنده أولاد وجميعهم مسلمون سنة بفضل الله. عندما جلست معه – بعد موعد مسبق – وطلبت منه أن يعلمني كيف كانت بداية إسلامه، قال لي: أخذت البكالوريا وكانت أحوالنا المادية ضيقة فأخذت وكالة معلم صف عندكم في إحدى مدارس ريف حلب الشمالي القريبة على تركيا. وكنت دائماً أفكر في هذا الوجود وهذا الكون...والخلق والخالق ....وفي إحدى الليالي رأيت في المنام الجنَّة ...نعم شاهدت في الرؤيا: الجنَّة بجمالها وبهائها وسحرها وجمالها و.... فانشرح صدري جداً لهذه الرؤيا وإنشرح صدري أيضاً لدين الإسلام. فذهبت الى أحد المفسرين للمنامات والى أحد العلماء بالدين الإسلامي ونتيجة ذلك أعلنت إسلامي ب: أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

ثم تابعت مجالسة أهل الدين ، والقراءة في الكتب. بعد ذلك أسلمت زوجتي وكل أولادي مسلمين، والحمد لله. ولذلك الحكومة كانت غاضبة عليه لأنه أسلم وحسن إسلامه هو وعائلته. وعندما سألته عن معتقد الإسماعيلية قال لي : أن بعضهم يعبدون الفرج وهذه حقيقة . ويؤمنون بأبي طاقة. ويؤمنون بالتقمص أيضاً، أي أن الروح تنتقل من إنسان ميت الى مولود جديد أو كلب أو جحش أو....ثم تابع لي قائلا بالمختصر المفيد : السمعولية تختلف عن الإسلام كثيرا.

❖

شاب واحد من الطائفة النصيرية – بتهمة إخوان : اسمه: عبد الرحمن الحموي. هو طالب في جامعة دمشق – كلية الشريعة وكان يتردد على جامع أسامة بن زيد في دمشق وكان له علاقة مع التنظيم المسلح . فكنت أدردش معه كثيراً وكان يُسر لي أحاديث يقول لي أنه لا يفتحها الا معي. وقد دارت بيننا نقاشات كثيرة وأذكر مما قال لي: يا أخي أنا حكمي إعدام لكن بما أنني من الطائفة العلوية فأهلي (أبوه وأمه) يتكلمون مع المسؤولين وأصحاب القرار لعدم تنفيذ حكم اعدامي. وتابع قائلاً: نحن أصلنا من لواء اسكندرون وكل واحد في سوريا كنيته : حموي أو حمصي فهو في الأصل من لواء اسكندرون فقلت له وأظن عائلة تركماني أيضاً في حلب فتابع قائلاً كل هؤلاء غيروا كنيتهم حتى يتغلغلوا وينخرطوا في المجتمع السوري. ثم استطرد قائلاً: النصيرية تنقسم الى أقسام أو فروع فمنهم من يعبد الفرج ويقول أن المرأة لا شرف لها مثل قطعة اللحمة عندما تغرزها بالإبرة هل يؤثر بها شيء...كذلك المرأة لا ضرورة لحشمتها فهي مثل قطعة اللحم وهؤلاء أسمهم: المراشده نسبة الى سليمان المرشد. وقسم يعبد علي ويقول : تاه الأمين ....هو ..هو...أي علي هو الله ...وقال لي أنهم يستندون على باطنيتهم بقول القرآن الكريم " فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب " (سورة الحديد). قللي بعرف هادا كله ما هو صح لكن والله أنا خايف من الإعدام...ثم يتابع حديثه قائلاً : النصيرية نسبة الى محمد بن نصير وهم يؤمنون بالتقية. التقية معناها: أن يُظهر الشخص خلاف ما يُبطن. أي هي النفاق والكذب والمراوغة والبراعة في خداع الناس. فهم يُظهرون لنا الاحترام باللسان لكن في قلوبهم يحقدون علينا ويريدون أن يشربوا دمنا. وهم يعتقدون أنه: لا إيمان لمن لا تقية له. والنصيرية أيضاً يؤمنون بالتقمص: أي المتوفى يموت جسده أما روحه فتنتقل الى طفل رضيع أو كلب أو جقيلي أو كر أو عنزه أو ...ثم يقول مُفنداً وداحضاً معتقدهم بقوله: يا أخي لو هل حكي صحيح كان ضل تعداد السكان في العالم متل ما هو ...ما كان كترت العالم...ولا كان زاد عدد الناس والبشر ...لذلك كلامهم غير صحيح ، والإسلام هو الصح ....يا أخي أبو هادي

.......والله ما بعرف ليش عما يصير معي هيك ...ما بعرف

في الحقيقة شخصية عبد الرحمن الحموي كانت شخصية مضطربة وليست مستقرة على الإطلاق ...لكنه بنفس الوقت لم يكن شخصية سهلة أبداً.......فكنت أشعر من كلامه أن حكم الإعدام قد ترك أثراً ثقيلاً وسلبياً على نفسه ... وكأنه قد أصبحت لديه نفسه لوَّامة...والله أعلم. وفي يوم من الأيام ذاعوا أسمه وأخذوه الى دمشق ولم أشاهده بعد ذلك ابداً. و انقطعت أخباره عني منذ خروجه من المهجع. هذه المعتقدات قرأتها سابقاً من بعض الكتب، لكن هنا أرويها لكم من أصحابها بالذات ، **ومن تمك يا كحلى بكون أحلى .**

الحرس الليلي:

قبل النوم بقليل كان معظم المهجع يريد أن يذهب الى التواليت لقضاء الحاجة. فكان أحدنا يقول للمسؤول عن الدورة : بولية ...ع الواقف فيقول له : وقف هنا خلف هذا الصف. فكانت الناس لا تتأخر أكثر من دقيقتين في التواليت لأن هناك إزدحام والخروج الى التواليت في الليل ممنوع منعاً باتاً ومن يجدوه في التواليت يُعاقب عقاباً عسيراً.

موضوع قضاء الحاجة مشكلة بحد ذاتها في الحالة الطبيعية في سجن تدمر لأن أعداد الناس كبيرة في مكان واحد ولا يوجد الا حجرة تواليت واحدة في المهجع أو حجرتين وهذا قليل جداً في المهاجع.الخروج الى التواليت ممنوع ليلاً وهناك عقوبة لمن يخرج ليلاً. ماذا تفعل الناس ؟ معظم الناس تخفف من شرب الماء من بعد العصر، أما في المساء فلا تشرب ماء حتى لا تخرج الى التواليت وأنا كنت واحداً من هؤلاء. بالنسبة لي أنا معي درر بول فكنت مضطر للخروج ليلاً. لكن صار معي مرض نفسي بدني وهو: إنني أريد الذهاب الى التواليت لقضاء الحاجة على الواقف حتى ولم أكن فعلياً بحاجة للتواليت. أقول لنفسي: أذهب حالياً حتى لا أحتاج للذهاب الى التواليت لاحقاً. لذلك قبل الذهاب الى النوم أو قبل التنفس أو قبل القيام بأي سفر ولو مشواراً صغيرا ، يُصبح لدي شعور بالحاجة الى التواليت ولو لم أكن بحاجة فعلياً لذلك. وهذا الشيء تكرر معي كثيراً ولسنوات طويلة مما جعله عادة مستمرة معي حتى اللحظة وللأسف. فإذا قلت لي نريد أن نسافر الى البلدة الفلانية أقول لك جاهز بمشيئة الله ثم أذهب الى التواليت مباشرة لقضاء الحاجة واقفاً وقد لا أكون بحاجة نهائياً لذلك ولكنها عادة قد أخذت قسماً من الوعي واللاوعي في حياتي. وأظن أن هناك كثيراً من أمثالي

ممن كانوا في سجن تدمر..........
في الصيف يكون النوم الساعة التاسعة مساء (اذا لم يجبرونا على النوم قبل ذلك كعقوبة مزاجية من السجان). قبل النوم بخمس دقائق يذهب كل شخص الى مكان نومه. يجهز كل إنسان طماشة ليضعها على عينيه وينام بالطماشة مكان النوم للشخص الواحد عرض: شبر و 3 أصابيع . الحرس الليلي في المهجع يكون طوعي أو أحياناً بالدور يكون لعنصر الشباب وليس للمتقدمين في العمر. في الشتاء تكون أول نوبة حرس من 9-11 ثم 11-1 ثم 1-3 ثم من 3-6 . وهذا وقت الإستيقاظ في الصيف وفي الشتاء .
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ":عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ" .فكان هذا الحديث النبوي الشريف يحث كثيراً من الناس على التطوع للحراسة ليلاً. مهمة الحرس الليلي هو المسؤول عن المهجع طوال فترة نوبته وهو يُنظم الوقت للدخول الى التواليت ليلاً مع العلم أنها ممنوعة. وإذا حدى مكشف يُغطيه وإذا حدى زاحة طماشة عن عينيه كان يقوم بتظبيطها..........
في إحدى أيام الشتاء الباردة جداً في مهجع 2/6 ، أنا كنت حرس من الساعة 1- 3 ليلاً. في هذا الوقت معظم الناس تكون نائمة والحركة قليلة جداً في المهجع. وأنا واقف بجانب الناس النايمة من كل الجهات ماعدا الجهة الخلفية فورائي حيط التواليت. فكنت واقفاً ومستنداً قليلاً على جدار التواليت خلفي. وفجأة سمعت صوت واحد يتلقس تلقيس فوق سطح المهجع. سمعت صوت حركة خفيفة فوقي. مكان وقوفي يوجد شراقة في سطح المهجع. فعندما سمعت صوت الحركة فوقي، وقفت باستعداد مباشرة. وإذا بصوت السجّان يزمجر:
- حرس ليلي ولا
- حاضر حضرة الرقيب
- مين نكزك ! (مين نكشك ؟) ولا ....ابن
- ما حدا نكزني ،حضرة الرقيب
- مين نكزك ! يا ابن ....ويشتمني
-.... ما حدى نكزني سيدي
-..........ولك ...شلون ما حدى نكزك .....يا ابن................ويشتم
-...... يا سيدي والله ما حدا نكزني

– رئيس المهجع ولا..................

– فيق (أيقظ) هدا النايم جنب الحرس..............

– حاضر سيدي ....فيق ...أبو مروان ....فيق ...إحكي مع حضرة الرقيب..........

–أبو مروان فاق ....وخبط برجله ع الأرض ....حاضر حضرة الرقيب

–... ليش نكزتوا للحرس الليلي ولاك ....إبن...................

–... سيدي أنا لا نكزتوا ولا شي ....أنا سيدي نايم ...وما بعرف شي............

أيقظ الشرطي ثلاثة شباب كانوا نائمين مكان وقوفي ....والجميع قالوا له : كنا نيام ولم ننكز أحد....فشتمهم السجان وقال لي روح على التواليت ولاك ....ابن.....وشلاح بالشورت ولأفرجيك بدك تقول مين نكزك ولا لاء ؟!.....(في الحقيقة، ما حدا نكزني وما حدى حكي معي ولكن أنا سمعت حركته فوقفت باستعداد بسرعة. ما حدى نكزني وهو يريد مني أن أتبلى شخصاً ما...وهذا الشخص ستكون عقوبتة شديدة جداً وربما تكلفه حياته فأكون أنا السبب في وفاته....لذلك قلت في نفسي، وكنت هادئ جداً بيني وبين نفسي ...أنا ما حدى نكزني ...واش ما بدو يساوي...الله .....بيحميني والسلام................

–...........في الشورت ولا....لس ما شلحت يا ابن......دخول على التواليت ....

–......حاضر سيدي ....

–.......رئيس المهجع .....شيل هل بيدونت المي و كبها فوقه لهل ....ويشتم

– حاضر سيدي ....يحمل رئيس المهجع (مجبراً) بيدونة الماء ويسكبها فوقي في هذا الجو البارد جداً ....

–........ مين نكزك يا ابن ....

–... ما حدا نكزني سيدي ....

–....رئيس المهجع ولا....بيدون تاني ....كبها فوق لهل اب ....

–...أرتجف من البرد حقيقة (لكن في داخلي مصر بأنني لن أذكر إسم أي إنسان بمشيئة الله)

– بيدون ثالت وبيدون رابع..وعاشر بيدون...قام بكب (بسكب) كامل الماء الموجودة في البيدونات و الجاطات ولم يبق ماء في التواليت الا وسكبه فوقي وهو يزمجر ويجعجع ويصرخ:

– مين نكزك ...ولك مين نكزك .....يا ابن ....

– ما حدا سيدي........والله ما حدى نكزني ....يا سيدي...........

- ولاك رئيس المهجع......علم (ضع علامة) على هذا الحرس... ....بس قلتك طالع المعلم بكرى في التنفس بتطالع هاد الحرس ....فهمت ولاك رئيس المهجع....وهنت ولا ....حرس ليلي ....بكرى الصبح بشوفك ...في التنفس لأهريك هري...بكرا بشوفك يا ابن........................ويشتم بي....لبيس تيابك وروح ع محلك ....بكرى....بتشوف.....

- حاضر حضرة الرقيب ....ز

- حرس ليلي ....نوبة الحرس الى بعدو خللي يجي ....

- حاضر سيدي ....نوبة اللي بعدو .....طلاع استلم الحراسة ....

طبعاً، أنا ذهبت الى مكان نومي وجسمي يرتجف من البرد وزاد على ذلك همَّ التعليم. فربما تكون العقوبة قاسية وعنيفة ....

ولكن ربما لا تكون هناك عقوبة ع الإطلاق ...فمن يدري ماذا سيحدث غداً ...!؟ وبين هذا وذاك لا أعلم كيف طلع الصباح.....!

بالنسبة لنوبة الحرس من 4 – 6 أو من 3- 6صباحاً فهي نوبة شاقة ومخيفة ومتعبة أيضاً. في هذه الفترة من النوم معظم الناس في المهجع تستيقظ من أجل أن تتوضأ لأداء صلاة الفجر. وبنفس الوقت، الحركة ممنوعة لكن نحن لدينا حاجيات ضرورية جداً أيضاً.

فيبدأ الحرس الليلي بإعطاء أرقام لمن يريد الذهاب الى البولية، وأرقام لم يريد الذهاب الى الدورة وأرقام لمن عليه صب ماء (حمام رفع الحدث الأكبر – جنابة).وأكثر من عدد 2 لا يستطيع الحرس أن يدخل الى التواليت. فكلما سنحت الفرصة ينادي الحرس الليلي: رقم 10 على البولية ثم بعد دقيقة ينادي رقم 5 على التواليت وبعدها بقليل ينادي رقم 3 صب مي(رفع جنابة). الكل يقضي مراده بسرعة البرق لأن الأعداد كبيرة ونخاف من قدوم السجان فوق المهجع. من خرج للبولية، ع السريع يقضي الحاجة ويتوضأ ويعود بسرعة البرق وكذلك من ذهب للحمام...

أما من زاره الشيطان في منامه و أراد أن يسقط عنه الجنابة فتكون الماء باردة جداً . الماء بوظ. ويتوجب عليه أن يتحمم بكمية قليلة من الماء وأن لا يُحدث صوت ماء (طرش)حتى لا يسمع الحرس...صب الماء أو الغُسل كان عقوبة بحد ذاتها لأن الماء بارد دائماً. (لا يوجد ماء ساخن في تدمر على الإطلاق لا من أجل حمام ولا من أجل أي شيء آخر. طوال فترة اعتقالي لم ألمس ماء ساخن على الإطلاق).

تصور أنت عند الفجر وفي عز الزمهرير تقوم بالإستحمام بماء بارد يجري من الحنفية الى جسمك أو من ماء البيدونه الى جسمك النحيل المتآكل من زمهرير الشتاء وقيظ الصيف وخواء الأمعاء وجفافها. أحيانا يكون واحد عليه صب ماء في الحمام وهو يسكب عليه الماء فيأتي السجان ويقول : حرس ليلي ولا ...مين عندك فايق ؟ مين في عندك بالتواليت..؟ العادة عندك صوت مي، ولا ...ابن الشرمو... فيقول له الحرس الليلي: ما عندي حدا سيدي ...والكل نيام....أما من هو موحود في الحمام يصب ماء فيتوقف عن سكب الماء...ويلصق بحيط الحمام حتى لا يراه السجان من فوق...وجسمه يقطر ماء وهو يرتجف برداً ؟! : ... صب المي لا يعرف طعمه الا من ذاقه... !؟ ومن ذاقه يبتعد عنه قدر الإمكان.......

طبعاً، يحاول جميع أفراد المهجع الوضوء من أجل أداء صلاة الفجر تحت البطانية (جواة البطانية) لذلك قسم من الناس ينادي للحرس: بس وضوء...بس وضوء حتى أصلي... فيخرج الحرس ما تيسر له منهم للقيام بالوضوء. وقسم من الناس كان يستقيظ قبل صلاة الفجر فيذهب لقضاء الحاجة ويتوضأ ويقوم بصلاة التهجد حتى يؤدي صلاة الفجر ثم ينام. وهذه النوعية الطيبة من الناس كانت تخفف الزحمة كثيراً. ومن لم يستطع أن يتوضأ في هذه الفترة من الزمن ، فمنذ أول كلمة : إستيقاظ ، يكون قد هرع مسرعاً الى التواليت ليتوضأ ويؤدي ما عليه أو ما فاته من صلاة أو إستحمام.

الإعدامات في سجن تدمر:

عندما نتكلم عن الشهداء ...تخنقنا العبرات...ونذرف الدمعات ...وتتيه المفردات...وتذوب الدنيا ..أمام القامات...أمام الهامات...أمام بشر... لكنهم معالم في العبادات ...ومعالم في المعاملات.....

هؤلاء الشهداء قد استشهدوا وتم إعدامهم بين فترة عام 1996 و 1990 وخرجوا من مهجع 2/6 وأنا شخصياً كنت موجوداً فيه:

1- عبود البري من ناحية اصبيخان – محافظة دير الزور (موظف في مناجم الملح وهو أخو ميسر وأكبر منه عمراً وخرجا سوية الى الإعدام).

2- ميسر البري من ناحية اصبيخان – محافظة دير الزور (معلم مدرسة).

3- محمود الضعيف من ناحية اصبيخان – محافظة دير الزور (إمام الجامع وخطيبه)

4- أبو صالح (طويل القامة و رفيع) من ناحية اصبيخان – محافظة دير الزور

5- خلف الخليف من ناحية اصبيخان – محافظة دير الزور

6- محمود وتار – من مدينة حلب

7- محمد شحيبر – من مدينة حلب

8- إسماعيل الحجلي من صلخد – محافظة السويداء

9 - أحمد زعرور – من مدينة حلب

10- حسام الدين دع – من مدينة حلب

11- طاهر العلو – من مدينة حلب

12- عصام وزان /أبو عبدو – من مدينة حلب

13- محمد أبو النصر براجكلي بن مصطفى – من مدينة حلب

14- أحمد بكري كعكة – من مدينة حلب

15- عبد الحكيم المصري – من مدينة جسر الشغور – محافظة إدلب

16- صفوان تللجو – من مدينة جسر الشغور – محافظة إدلب

17- إبراهيم قناطري – من جبل الزاوية (حزارين) – محافظة إدلب

18- محمد مراد / أبو محمد- من جبل الزاوية (فطيرة)– محافظة إدلب

19 - فهد الخليل – من جبل الزاوية (كفر عويد)- محافظة إدلب .

" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يُقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم ". (سورة التوبة)

أهل صبيخان من محافظة دير الزور استشهد منهم أكثر من هذا العدد لكن تشابهت وتداخلت عليَّ أسماءهم فذكرت ما أنا متأكد منه تماماً وهم يعرفون بعضهم جيداً وكلهم أتوا دفعة واحدة الى تدمر. و هناك أسماء أخرى لست متأكد من أسماءهم بشكل دقيق لذلك لم أذكر أحد...وأنا هنا أتكلم عما شاهدت بعيني رؤيا العين، وسمعت بشحمة أذني. هؤلاء الشباب الأخيار خرجوا من مهجعي وتم إعدامهم في الباحة السادسة من سجن تدمر. وكنا نسمع أسماء الذين يخرجون الى الإعدام وهم من كل المحافظات السورية بالإضافة الى أسماء أخرى كثيرة تم استشهادهم وقد سمعنا وعرفنا أسماءهم من الشباب القدامى في السجن والذين يعيشون معنا.

كنا من مهجعنا نشاهد الإعدامات رؤيا العين و نسمع الأصوات كما ذكرت لكم سابقاً . وقد سمعت أصوات التكبير والجلبة والحركة أثناء تنفيذ الإعدامات ولم أرغب بالمشاهدة بالعين المجردة لأنني لم يكن لدي قلب واستعداد لمشاهدة إنسان يتم تنفيذ حكم الإعدام به أمام عيني، فخفت أن أصرخ أو أن ينتابني شيء لذلك قررت عدم مشاهد الإعدامات من ثقب حنفية الماء الذي كا يُطل على الباحة السادسة – باحة الإعدامات. بعد سنة تقريبا قاموا ببناء مهجع جديد فلم نعد نشاهد الإعدامات ، ولكن كنا نسمعها. والإعدامات كانت تتم عن طريق مقصلة خشبية تقليدية ويستخدمون حبل المشنقة. وكنا نسمع أصوات التكبير وصوت الحركة السريعة أثناء تنفيذ الإعدامات.

حسب ملاحظتي لم يكن هناك وقت محدد للإعدام. أي لم يكن هناك يوم محدد في الإسبوع يتم فيه تنفيذ الإعدام. لكن يوم الإعدامات، الحركة في السجن تتغير: البلدية (عناصر السخرة تركض ركضاً طوال الوقت، عناصر السجانة (الشرطة العسكرية) تلبس لبس نظامي وتضع البيريه (القبعات) بينما في الوقت العادي لا يلبسوا القبعات، بالإضافة الى ذلك، يتولى مدير السجن مع ضباط آخرين قادمين من دمشق الحضور والإشراف على تنفيذ الإعدامات. لذلك تكون إدارة السجن مستنفرة بالكامل لهذا الحدث الجسيم الحزين. عدد الأشخاص المعدومين يكون حسب العدد الذي أحضره معه من دمشق. وسمعت من الشباب داخل السجن: أن حكم الإعدام لا يتم تنفيذه الا بالموافقة والتوقيع من وزير الدفاع ثم بالموافقة والتوقيع من رئيس الجمهورية.

ولاك رئيس المهجع هل أسماء عندك .....عصام وزان....حسام دع .....صفوان تللجو

-.......و.......

-...نعم سيدي ....نعم سيدي ....نعم سيدي

-.....خللي يجهزوا حالهم

- حاضر سيدي .... ثم يتابع المساعد طريقه الى المهاجع الأخرى والى الباحة السابعة حتى يجد كافة الأسماء المكتوبة عنده في الورقة....

هنا، نحن نعرف من خلال التوقيت والحركة و....أن هذه الأسماء ذاهبة للإعدام ...فيبدأ الشباب بتجهيز أنفسهم ...يتوضؤوا... ويصلوا ركعتين يسمونها " سنة شهادة " وتركض الناس تودعهم بالدموع ...بالقبل...بالمعانقة...بالأحضان...وهم يقولون : سامحونا يا شباب ....ادعونا يا شباب ....خليكم على العهد يا شباب ....ونحن نقول لهم: ...سلم على فلان...سلمولي على فلان...سلموا ع الرسول عليه السلام....سلموا يا شباب ....طوبى لكم يا شباب ...الى الفردوس الأعلى يا شباب ...الى جنان الخلد يا شباب ....وبين دمعة من هنا وآه قادمة من هناك ...وسلام يخرج من حنجرة مكلوم ...وصوت أجش يلح بالدعاء من مريض معدوم ...تتعانق المفردات والأجسام والأرواح في لحمة ووحدة صاغها رب العباد. و وسط هذا الزحام، زحمة المشاعر والعواطف وزحمة الفكر والوجدان، ينبري أحدهم ويقف فينا خطيباً ومما قال وأقول:

كان في عنفوان الشباب وقد تجاوز العشرين بقليل، وسيم الطلعَّة، بهيَّ المحي، طيب القلب وابتسامة حزينة خجولة ترتسم غالباً على محياه. إنه الأخ الشهيد: صفوان تللجو من مدينة جسر الشغور- إدلب . في عام 1990-1989 كان الأخ صفوان من عناصر السخرة في مهجع 2/6 (جديد سادسة) في سجن تدمر. و جماعة السخرة في المهجع تعني جماعة الفدائية التي تقدم نفسها وجسدها خدمة للأخرين. فكان صفوان عنصر من عناصر هذه المجموعة الفدائية التي كانت تضم الأخوة: هيثم المرمور (أبو علي) وحمد ع وأحمد كعكة و أبو الرشد وأبو الزين وأبو النصر و غيرهم من الأبطال. هذه الكوكبة الخيِّرة كانت تقوم برش الباحة بالماء وإدخال الطعام الى المهجع، وبين هذا وذاك كانوا يتحملون الضرب والعذاب والعنّاء الشديد الذي لا يوصف. هذا الشاب المغوار، بالإضافة الى ما تقدم فقد كان يتحفنا أحياناً ببعض الأناشيد للأخوة: أبو دجانة و أبو الجود والشيخ البربور وغيرهم.

حان الأجل، وهتف السجّان بإسم صفوان ليجهز نفسه، فنهض صفوان نهضة رجل مؤمن فتوضأ وصلى ركعتين سنّة الشهادة ثم وقف خطيباً فينا قائلاً: "... صحي يا جماعة أنا كنت مقصر في حق الله وعندي شوية معاصي قبل ما أدخل السجن، وديني على قدي. بس الحمد لله، الله هداني وثبتني على دينه وأنا حالياً جاهز ل لقاء الله ، نعم أنا جاهز ل لقاء الله..." و أسرع نحو الباب لملاقاة من يهوى...مرفوع الرأس معصوب العينين !؟ أما أنا فقد بقيت جالساً في مكاني متبسمراً ولسان حالي يردد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها." هذا ما قلته لنفسي هاتيك الليالي. آما الآن فأضيف لنفسي ولكم سؤالاً آخر: من منَّا جاهزٌ ل لقاء الله ...!؟ من منّا يجرؤ أن يلفظ كما لفظ صفوان ؟! الى أي مستوى إيماني وصل !؟ أي مرتبة من التخلية قد نال...!؟ حتى يواجه حبل المشنقة بهذه الشجاعة والبطولة والسكينة...!؟

الحاجة أمُّ الاختراع:

دخلنا السجن ولم يكن معنا أي حاجات أو أمتعة بل بملابسنا فقط مع قليل من النقود. الإنسان بطبعه وتركيبته يحتاج الى مقومات حياة لا بد من توفرها حتى ولو كان في السجن. نحن كبشر بحاجة الى مقومات حياة البشر ولا نمتلك منها شيئاً داخل السجن. في بداية عام 1996 تقريباً بدأوا يُحضرون لنا خبز فرن بدلاً من خبز الصمون. (ليس دائماً ولكن غالباً). هنا تنفس أهل المهنة والحرفة الصعداء وبدأوا يصنعون من أكياس النايلون ما لا يخطر على البال.
في البداية بدأوا بصناعة الخيوط، فكانوا يُعلقون جنكل بلاستيك ب لوح الصابون ويضعون عليه شريط نايلون من أكياس الخبز ثم يبرموا لوح الصابون فليتف شريط النايلون على بعضه ومع دلكه خفيفة بقطعة قماشة و برمه خفيفة بلوح الصابون ...يتكون لدينا خيط نايلون (أرفق لكم صورة عن ذلك في أول تعليق) . وبعد أن تمكن الشباب من صناعة خيوط النايلون بدأوا بصناعة حصر من نايلون نمدها تحتنا في النوم من أجل عزل الرطوبة. يبلغ طول الحصيرة بحدود متر ، أو متر و ربع وعرض شبر و 3 أصابيع فقط، وإذا قمت بالزيادة فذلك تعدي على حدود الجيران . وكانت أكياس النايلون

تُوزع على مجموعات الطعام بالتساوي، وكل إنسان يتصرف بأكياسه ما يشاء. ثم بدأ الشباب بتصنيع جناتي (حقائب أو سلة) من نايلون حتى نضع فيها الملابس ونعلقها على الجدار بعد أن صنعوا حبالاً وشبكة من نايلون و علقوها من أول المهجع الى آخره وبدأنا نعلق ملابسنا أو حقائبنا وأحياناً ندحش البطانيات لأن لكل شخص في المهجع حصة في شبكة المهجع المعلقة على جدران المهجع من كلا الطرفين. أصبحت حيطان المهجع على شكل خزن مقسمة الى أقسام و حجرات (صناديق) ولكن كل تلك الصناعة من مادة النايلون وأقرب صورة الى الذهن هي صورة صناديق البريد في مركز الجميلية بمدينة حلب. ثم بدأوا بصناعة الخِف (نلبسه فوق الجراب لكن مصنوع من خيوط النايلون). وبعد ذلك قاموا بإختراع كبير وهو تصميم برداي لشراقة المهجع. فعندما يهطل المطر نقوم بسحب البرداية فيتم إغلاق الشراقة وعندما يتوقف المطر نقوم بفتح الشراقة....فكانت السجانة تنذهل من صناعة هذه البرادي وهذه الأشياء التي يروبها أمامهم ..فيشتموننا ...ويضربوننا.... ولكننا مستمرون...............

بالإضافة الى ذلك، فإن خيطان النايلون استخدمناها في تصليح شحاطات الحمام وترقيع وخياطة الجاطات أو صحون البلاستيك المكسرة أو العلب الصغيرة المكسرة فنقوم بخياطتها وترقيعها أو تصليحها حتى نستفيد منها قدر الإمكان. وكما ذكرت لكم سابقاً فإننا نقوم بتصنيع دفاتر الكتابة والقراءة من مادة النايلون، فكانت نافعة ومفيدة وعملية في الحل والترحال. نحن في المهجع حفاة طول الوقت، وأحيانا في الشتاء من لديه جرابات يقوم بارتدائها مساء في فصل الشتاء.
طبعاً، كان هناك مُشرف على هذه الأعمال وهناك مساعدين له وعمال، وكلهم أجرهم على الله ويعملون بالمجان. المشرف كان يحمل شهادة عالية في الطب ويساعده شخص آخر يعمل بالهندسة والبنيان. بعد قراءة الواجب من القرآن في صباح كل يوم (بحدود 3 أجزاء). يبدأ بالخيط والصابونة ونسميه (المغزل) يبدأ مغزله بالدوران وتتابع المجموعة عملها بانسياب وبهجة وحنان. قاصدة الأجر من الله وخدمة بني الإنسان.

أما ملابسنا فقد تآكلت واهترأت ولم يبق منها شيء. فقد كان التعرق بسبب الحرارة المرتفعة جداً بالإضافة الى التنفس بشمسه المحرقة وكرابيجه الموجعة يُهري و يُفني الملابس فضلاً عن تعاقب الأيام. ملابسي التي دخلت بها قد اهترأت ولم يبق منها شيء فبدأت مثل غيري من الشباب أضع رقعة

صفراء هنا ورقعة حمراء هناك ونختار من أين سوف نأتي بالرقع فقد أصبح عليها طلب كبير. من كتر الرقع لا تعرف ما هو اللون الأصلي للبيجاما أو البنطلون....صدقوا عدد الرقع في البيجاما الواحدة يكون بحدود 30 –40 رقعة ، كلها رقع متراكبة بعضها فوق بعض، ولا تعرف ما هي القطعة الأصلية في هذه البيجاما أو ذاك السروال.

وكان من جماعة الخياطين المرحوح: جمال الشيخ يوسف من طيبه الأمام– محافظه حماه (طالب حقوق سنة رابعة وعنده 2 من إخوته معتقلين ولكن في مهاجع أخرى). وهو من أصحابي المقربين. فكان أبو يوسف يقول لي مبتسماً: أبو هادي أنا دائماً حوالي شراشيط...! وهداك الدكتور مانيت أبو القاف دائماً حواليه قراقيع ... ثم يتابع حديثه معي والابتسامة لا تفارق محياه: اليوم إجانا أبو الرشد بدو بردعه...!؟ بردعه يا رجال ...!؟

من شدة الرفس والضرب على الأضلاع وتكسيرها بدأنا نُفصل صدرية ونحشوها بالخرق البالية أو أي شيء يمكن خياطته حتى نقي أنفسنا ونخفف حجم الضرر لهذه الرفسات الجهنميات. وكان خياطنا أبو يوسف يسميها " البردعة " من باب الدعابة والطرافة ...! ربما تسأل من أين يأتي بالمقص هذا الخياط؟ لا يوجد لدينا مقص ولا غيره. أحياناً بعض القنادر (الأحذية) يكون لها دبوس زينه (مسمار برشمه) مصنوع من المعدن فكنا نحفُّه على الجدار حتى يُصبح متل الشفرة وكذلك الليرة السورية المصنوعة من معدن....وكان المسؤول الأول عن هذه الأشياء الحادة والقاطعة هو المرحوم الشهيد: عبد الحكيم مصري من جسر الشغور. فإذا إحتجت الى قطعة حادة تذهب الى عبد الحكيم فتجد ضالتك عنده بمشيئة الرحمن، فهو سخي وكريم وبمهنته فنان.

بعيداً عن النايلون، نذهب الى كناسة المهجع. طبعاً أثناء التنفس أو التفقد أو التفتيش نقوم بكناسة المهجع، فيخرج من البطانيات والعوازل فضلات أو بقايا من الوبر فكنا نجمعها مع بعضها ونسميها كناسة. ونستخدم هذه الكناسة في صناعة طراحة صغيرة أو فرشة صغيرة. وكنا نصطف على الدور ونسجل أسماء لمن يريد كناسة. وأنا كنت واحد من الذين صفوا على الدور وحصلت على حصة كناسة عملت بها طراحة للنوم بمساعدة خياطنا أبي يوسف. طراحة بطول متر تقريباً وعرض شبر و 3 أصابيع بالمقياس والبيان. وعند نهاية السجنة تقريباً كان عندي (والملك لله): مطربان مكسور ومخيط خياطه من نصفه العلوي و دشكه من كناسة، وحصيرة من نايلون وخِف من نايلون مع بردعه صغيرة كما كان يقول أبو يوسف. وكلها هبات وعطايا عمقت الجراح وزادت من لحمة الإنسان.

ومن باب الاستئناس، وذكر محاسن الناس فإن أخينا أبو عبدو فرواتي من حلب، كان عنده: فلت عسكري في تلك الأيام. فكنا في وقت الشتاء نتناوب على ارتداء هذا الفلت أكثر من خمسة أشخاص، فمِنَّا من يلبسه صباحاً ومنَّا من يلبسه في المساء.

طرائف من سجن تدمر

بالرغم من حلكة الظلام وشظف العيش ووعورة الطريق وقلة السالكين والغربة القاتلة، فقد تمرُّ على الإنسان نهفات وطرائف في الحياة تكون مثل البهارات والتوابل على مائدة من الطعام. مهجع 6/2 في سجن تدمر من عام 1988/1989 كان مزدحماً ومكتظاً ب نزلائه ومن الصعوبة بمكان أن تجدَّ فيه مكاناً للراحة أو الخلوة أو أن تأخذ راحتك في التمدد والاسترخاء. فكانت النومة تسييف (أي تنام على شقك – سيفك – الأيمن أو الأيسر لأنه ليس هناك مكان واسع لتنام فيه أو تستلقي فيه على ظهرك). ومساحة نومك عرضها شبر و 3 أصابيع بالقياس والبيان. وكل شخص نائم يكون أمام عينيه: أقدام شخص وخلف رأسه أيضاً: أقدام شخص آخر. بمعنى آخر: كنَّا ننام غير النومة المعروفة وهي الرؤوس بجانب بعضها البعض فكنا ننام بطريقة معكوسة بسبب ضيق المكان، بين وجهي ووجه الشخص المقابل لي تكون أقدام شخص آخر (أحياناً من باب الدعابة، نكركر أقدامه). غطاء النوم هو بطانية عسكرية وغالباً نخيطها لتصبح على شكل كيس مفتوح من طرف واحد وننزل في هذا الكيس لدى النوم. الفراش يتكون من عازل عسكري وما تيسر من لباس أو كناسة (وبر) بطانيات. أما الوسادة (المخدة) فتكون إما ملابس شخصية أو قطعة قماش محشوة بأكياس من نايلون. وكنَّا ننام ونضع طماشة على عيوننا ...!؟ لا تستغرب ولا تتعجب، نعم، نضع طماشة على عيوننا ونحن نائمون.

هل سمعت في هذا ؟! وأنت نائم تضع طماشة على عينيك...؟!

•

ذات يوم، أتاني رئيس المهجع أبو مهند من مدينة حماه وقال لي: يا أبو هادي أرجو أن تقبل بأن ينام بجانبك الأخ عدنان أبو شفه فأجبته أهلا وسهلا من باب الاحترام والواجب و التعاون. الأخ: عدنان أبو شفه من مدينة اللاذقية، مهندس وخريج جامعة دمشق، طويل القامة ، عظمه خشن ووزنه يتجاوز 95 كغ ...ما شاء الله !. قبل النوم بقليل جلسنا نتهامس أطراف الحديث فقال لي:" يا أستاذ ...أنا كفترجي (يقصد هو من جماعة أحمد كفتارو)...أنا كفترجي ...بس ليش جابوني ع تدمر ما عمَّا أعرف !؟ أنا ماني عامل شي ...أنا ما لي علاقة بشي ... العفى ...جابونا لهون كنا (كلنا) مهندسين ...!؟ " ثم استطرد في كلامه بين البحَّة والهمس قائلاً: " أنا خجلان من الناس يا أبو هادي معظمهم ما بريد ينام جنبي ...بيخافوا يناموا جنبي... يا خيي معهن حق بس ما فيني ... ما هو ب إيدي أنا بلبط (يقصد أنه يرفع إحدى رجلية أو كلتيهما أثناء نومه ثم يهوي بهما على أحد جيرانه في النوم، ورجليه ثقيلتين جداً). أنا صحي بلبط بس ما هو ب إيدي يا خيي ما هو بإيدي ! شوف أنا بربط رجلي بمرسه (بحبل) حتى ما يتحركوا ... بس ما بحس على حالي الا وأنا عما البط جاري في النوم ...". قطع همسنا صوت وقح خشن: نِيامْ ولاك ....نيام ...ع النوم ولاك عرصات ...أخوات ..ش ..ق... ماهي الا ثواني حتى كنا مستلقين على جوانبنا قاصدين النوم. عندما أغمضت عيني فكرت قليلا في ضخامة جسم جاري الجديد أبو شفه ، وتصورت لبطة ضخمة قوية تهبط فوق بطني من طرفه، فما عساي أن أفعل ! ثم تداركت ذلك التصور بتلاوة ما تيسر من القرآن وأسلمت جفني للنوم. ماهي الا ساعات معدودة حتى علا صراخي وأيقظ الأصحاب والأحباب ، ويا ويلتي إن سمع الأعداء ...!؟ لقد فعلها أبو شفه ...! هذه المرة كلتا رجليه المربوطتين هوت على بطني "كجلمود صخرٍ حطّه السيل من علٍ ". لقد سامحتك يا باش مهندس وأنت كفترجي...! وأسامحك اليوم ولا أعلم ماذا تكون ...وأين حطت بك الرحال...!؟

•

يقول تعالى في كتابه العزيز: " فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون "(سورة يوسف) . فكان عدد قليل من الشباب يعتقدون أن " نكتل " هو اسم شخص وهو من إخوة يوسف. ويقولوا: أخوهم اسمه نكتل بينما التفسير هو:
فأرسل معنا أخانا نكتل أي قالوا عند ذلك : فأرسل معنا أخانا نكتل والأصل نكتال ، المعنى : فأرسل أخانا يكتل معنا ; فيكون للجميع . أي معنى " نكتل " ليس اسم شخص بل " نكتل " لها علاقة ب الكيل والمكيال وليس اسم شخص على الإطلاق(والله أعلم). فكان بعضهم يظن أن " نكتل " واحد من إخوة يوسف عليه السلام.

•

في إحدى أمسيات مهجع 8 ....كان الجو خنيق وهذا المهجع معتم ومُظلم ففتحوا له شراقة (طاقة) واحدة في السقف. السجَّان فوق السقف يتلقس تلقيساً ولا يحدث أي صوت ويقول صارخاً:

-......ولاك رئيس المهجع ...ابن الشرمو....ابن القحب ....

- حاضر سيدي ...حاضر حضرة الرقيب................

- جبلي (أحضرْ) هادا الي كان معه مَسْبَحه ...(مسبحة من عجو الزيتون)

-...وينوا أبو المسبحة ....تعال لهون .....بسرعة تعال لهون....ولك وينو أبو المسبحة

- يا أخوات الشرمو...حلق الي مر...الي مشي من هون وكان معه مسبحة...وهو أصلع ...هو .....أصلع ...يجي والله لأني.....أمه وأخته...............

-.... لا أحد يأتي ...لا أحد يرد....لا أحد ....

- ولاك رئيس المهجع ولا .... جيب المهجع كلو ...و عزيل (افصلْ) الصلعان لحال ولي ما هن صلعان لحال ...بسرعة ولاك رئيس المهجع ...الصلعان ع الطرف...وما هن صلعان ع طرف .....وبدأت بعض الناس تفرز نفسها ...من هو أصلع، وَقفَ في صف الصلعان ...ومن هو غير أصلع وقف في صف أهل الشعر ...ورئيس المهجع أبو الرشد يقول لبعض الناس أنت روح لهون (ع الصلعان) وأنت روح لهون (على أهل الشعر).....وأنا وين بدي أروح ما أعرف...!؟ في الحقيقة أنا لا أعرف نفسي ، هل أنا أصلع أم غير أصلع ...!؟ هل أصف مع أهل الشعر أم مع الصلعان ...!؟ ...صدقاً، أنا لا أعرف نفسي أصلع أم غير أصلع !؟ فليس لدينا مرآة ...ولم أر نفسي ...لا في

مراي.....ولا في صحن ...ولا في طنجرة...حتى أشوف حالي ...! فقط أسمع أصدقائي يقولوا لي: أنت شعرك خفيف ...ونحن دائما طوال فترة السجن حلاقة شعرنا ع الصفر وحليقي الوجه واللحية ...همست لرئيس المهجع همساً: يا أبو الرشد أنا وين بدي أصف ...عندما اقتربت منه ...أنا وين بدي أصف... يا أبو الرشد فقال لي: أنت هونيك مع أهل الشعر ...صف هونيك بسرعة مع أهل الشعر ...!؟ لكن تبين لي في ما بعد بأن أبو الرشد كان يحميني من هذا الجلاد لأنني اكتشفت نفسي لاحقاً بأنني من فئة الصلعان !

•

في مهجع 8 كان معنا مجموعة شباب من ريف محافظة الحسكة، ومن مناطق متعددة من المحافظة، ونعّم الشباب هم. وكان معنا من الفدغمي الشاب: عبد الرزاق خليل حميَّد العلي. وكان ضخم الجسم بدرجة ملفتة للنظر (ما شاء الله !) . في عام 1994-1995 دخلوا علينا على المهجع بضعة أعداد من صحيفة تشرين السورية (و لمرة واحدة فقط). بعض الناس بدأت تقرأ الجريدة من الألف الى الياء لعلها تقرأ أو تجد خبراً يسرها. لكن ما أثار الضحك والاستهزاء لدينا هو أن زوجة صاحبنا: حميَّد من الفدغمي تقوم بتطليق زوجها في الجريدة. قرأنا خبر طلاقها من زوجها الموجود معنا في المهجع....فهي تعلن صراحة طلاقها من زوجها المدعو عبد الرزاق .فأصبح الناس بين مهرج ومتأسف . فكان الشاب مهدي (ابن منطقته) يأتيه ويقول له: يا حِميَّد مساوي حالك بطل ! مساوي حالك رِجّال ...!؟ هيْ مرتك طلقتك !؟ روح شوفنا حالك...! أما حميَّد فقد تفاجأ وانصدم بهذا الخبر المحزن فأزبد وأرعد...ثم تبسم وضحك ...لكن بين هذا وذاك...لم تعد تجدي الآنات والآهات.........

في الضهرية الحمرا

في الضهرية الحمرا ... وفي طقت الشمس ... تنقطع النسمات ... وتكوينا اللفحات ...وترتفع الدرجات... ويشتعل المهجع حرارة...درجات الحرارة العالية تلفحنا لفحاً و تكوينا كياً، فالعرق يتصبب من الجبين ومن كل الجنبات. ما هو الحل !؟ ما هي الطريقة للخروج من هذا البلاء ؟! ...إنها التهوية. لقد كانت الحل الوحيد لمشاكل القيظ في سجن تدمر. ربما تسأل كيف كانت التهوية في سجن تدمر!؟

والحرارة فيه قد تتجاوز 50 درجة مئوية أحياناً في عز الصيف ! مع ازدحام شديد في عدد النزلاء داخل المهجع الواحد. كنت أعصر ثيابي البالية عصراً خفيفاً فيقطر و يشر منها الماء ولا أعصرها بشدة حتى لا تنشق البيجاما وأقع في ندم ولوم مع الذات. وهذا الشيء لم أراه في حياتي الا في ذاك الزمان والمكان...وهذه حقيقة محسوسة وملموسة وليست ضرباً من الخيال و السحبات. بل حقيقة عشتها وأقلقتني بالنوم ليلا وبالعيش في فترة النهار. هذا التعرق – عدا عن حرارة الجسم والضيق والقلق الذي يسببه – فقد كان يساعد على تلف واهتراء الملابس بسرعة كبيرة. باب مهجع 2/6 : باب حديد كبير وسميك وبلون أسود ، الوقوف أمامه كأنك واقف أمام فرن ، أو أمام تنور الخبز وأشد بكثير. من طلوع الشمس الى الظهيرة والشمس تلفحه بحرارتها الساطعة المتوهجة فتراه كأنه يشتعل من الحرارة، وبإمكانك أن تطبخ عليه...!؟ كل من يملك قطعة كرتون صغيرة يُهوي بها ليرتاح جسمه يُعتبر من الأغنياء والمحظوظين! فكان بعض الشباب يشلح البيجاما ويُهوي بها. ويحرك كم البيجاما كما تتحرك المروحة لكي يحصل على قليل من الهواء. لم تكن هناك موجودة لا المراوح ولا المكيفات ولا أي شيء له صلة بالتهوية وكأنه لا يوجد بشر داخل هذا المهجع ...! نحن لا قيمة لنا فكنا نعيش في زمن النسيان ...!؟ هكذا عاملونا ... فكانت الناس تكوز على التواليت حيث الماء والبرودة كما تكوز الأغنام في فصل الصيف تحت الظلال وفي الفيان، مع فارق في التشبيه وضعف في البيان.

كانت التهوية يدوية وبالعازل العسكري. يَمسكُ العازل من كل طرف شخص يستطيع أن يُلَّوح بالعازل جهة اليمين و جهة الشمال حتى يتحرك الهواء في المهجع، وكانت هناك عدة عوازل تتلاعب بهواء المهجع في آن واحد فيتحرك الهواء في المهجع قدر المستطاع وليس بالإمكان أفضل مما كان. ويتناوب الأخوة على هذا العمل ، فمثلاً: حالياً دور مجموعة الطعام رقم /1/ في التهوية ولمدة / 15 / دقيقة وبعدها يأتي دور مجموعة الطعام رقم /2 / وهكذا دواليك. أما عن أخذ حمام دوش ماء بارد فلا تستطيع نهائياً لأن جميع كالونات الماء جاهزة للتنفس. وأصبحت تعرف ما التنفس...!؟ أما من كان مصاب بالربو أو بالسل ...فيعجز عن وصف بؤسه وشقاءه اللسان...والله أبو عبد السلام...ملازم أول من حلب كان معه مرض الربو ....في الرمضاء ووقت الحر وخاصة عند الغروب وبعد الغروب بقليل ...كان أبو عبد السلام يشهق ويشخر ويهز رأسه وكأنه يختنق ...فعلا هو يختنق ...كانت حالات اختناق حقيقي تأتيه ...تصور إنسان يختنق أمامك...!؟ ونحن نهوي فوقه بالعازل و بالكرتونة وأحياناً كنا نرفعه بأيدينا للأعلى نحو الشراقة ليتنفس الهواء ....وقد حدثت عدة اختناقات في مهاجع أخرى ...يشيب لهولها الولدان.

جلسة ترفيهية ثقافية:

كل كم شهر، كنَّا نقوم بأمسية ترفيهية – أدبية – شعرية – ثقافية ويقوم بعض الشباب بإلقاء كلمات لها علاقة بالثقافة العامة. وقد كنت واحداً ممن ألقى كلمة أو محاضرة في تلك الأمسيات تحت عنوان: دور المستشرقين في العالم العربي. ولا تخلو هذا الأمسيات من أناشيد الشيخ أحمد بربور وأبو دجانه وأبو الجود ولكن بصوت شبابنا: أبو النصر (براجكلي)، وصفوان تللجو ، وأبو علي/ هيثم مرمور و دباغ
ومن ضمن القصائد التي كانت تتردد على مسامعي كثيراً ، إخترت لكم الآتي:
هذه النشيدة من تأليف مصلح الأحذية ومرقع الجاطات المكسورة ومبتكر شبكة النايلون في مهجعنا:

لا تبالي يا شآم = وامسحي دمع الخدود
إن نصر الله آتٍ = رغم طغيان القرود
لا تظني قد نسينا = نحن لا ننسى العهود
قلبك المحزون نادى = أين أنتم يا أسود
دنس الأندال طهري = والنصيري الحقود
نحن يا أختاه أسرى = خلف قضبان الحديد
فاطمأني سوف نأتي = مثل ما تأتي الرعود
نسحق الكفر ونحيي = بين جنبيكِ الورود

وأما هذه القصيدة فهي من تأليف الشهيد: بسام بريك من مدينة حماة وقد قالها قبل خروجه الى الإعدام:

يا حافظ الأنجاس لن أخشى الردى
واسحق عظامي وليكن ما كانا
وابني المشانق من دمشق لتدمر
لن تقضي الا ما قضى مولانا
أنا لما سلكت الدرب أعلم — أنني طلقت دنيا تابعاً فرسانا
سأظل ما حييت مجاهداً — بدمي وروحي مسلماً إخوانا
ويظل هامي للثريا شامخاً — وشراك نعلي فوقهم تيجانا

ومنهم من ينشد قائلاً:

يا راحلين عن الحياة وساكنين بأضلعي

هل تسمعون توجعي وتنهد الدنيا معي !؟

يا طائرين الى جنان الخلد أجمل موضع

أتراكم أسرعتم!؟ أم أنني لم أسرع !؟

ثم يختمون جلستهم بهذه الأبيات:

يا ظلام السجن خَيِّمْ – إننا نهوى الظلاما

ليس بعد الليل الا — فجر مجد يتسامى

الأمراض والأوبئة في سجن تدمر:

ألمت بنا و وجدنا وشاهدنا أمراض في سجن تدمر لم نشاهدها ولم نسمع بها من قبل. وسأروي لكم عن أهم الأمراض التي كانت منتشرة بيننا نحن السجناء:

1– الإسهال: مرض الإسهال كان منتشراً جداً بيننا. هل للطعام علاقة بذلك ؟ أم للحالة النفسية ؟! أم لكليهما ؟

2– أمراض المتعلقة بالمجاري البولية أصبحت منتشرة بسبب منع الذهاب الى التواليت ليلاً ...وربما هذا انعكس سلباً على أمراض داخلية أخرى!؟

3– التهوية ضعيفة جداً في المهجع ودرجة الحرارة دائماً مرتفعة. وهناك مهاجع مغلقة، لا توجد فيها تهوية كافية وسليمة على الإطلاق. لذلك بدأ مرض الربو يجتاح السجناء ومنهم خالد / أبو عبد السلام من حلب وغيره كثيرون.

4– أما الوباء الأكثر فتكاً والذي إنتشر بين السجناء إنتشار النار في الهشيم فهو **مرض السل**.
مرض السل اكتسح سجن تدمر اكتساحا مدوياً، حتى أصبح عدد المصابين بالسل بالمئات وربما بلغ الآلاف لدرجة أن الباحة السابعة أصبحت مخصصة بالكامل لمرضى السل، وهو مرض معدي. وأحياناً يبصق المريض دماً عند الإصابة بمرض السل. وكان الدكتور زاهي عبادي من دير الزور هو المشرف على مرضى السل. الدكتور زاهي تبرع تبرعاً من تلقاء نفسه للإشراف على مرضى السل وقد توفى د. زاهي بمرض السل في الباحة السابعة (كما سمعت). ومع أحد مرضى السل كان لي هذا الموقف:
السيد: عبد الله الشيخ إسماعيل من طرطوس، رجل بالستين من العمر ويزيد...التقيت به في مهجع 2/6 وقد أعياه المرض فهو بلا أسنان ويتشتش الأكل تشتشه وآثار سجن تدمر الكئيبة قد نالت من محياه الجميل. هذا الرجل النبيل: ابنه طارق كنت وإياه في صف واحد في البكالوريا. وابنه تخرج من الشريعة وذهب خارج البلاد وهم سجنوه عوضاً عن ابنه. وكنت أعامله معاملة الوالد. في يوم من الأيام طلبت منه أن يسرد لي كيف تم اعتقاله، فمما قاله لي:
أن رئيس فرع المخابرات العسكرية المقدم محمود (المعروف بحقده في طرطوس) قال له: ماذا تحفظ من القرآن يا عبد الله؟
فأجابه: " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ". (سورة آل عمران)
فقال له : ما نك حفظان غير هل الآية......يا....ابن........الشرمو...........ثم بدأ بضربه وقال له لأخليك تتخ في السجن.
هذه الرجل / أبو طارق فحصه المسؤول الصحي وقال له قلْ أو رددْ: 44 ...44 ...44 (أربعا وأربعين) والطبيب يضع أذنه على ظهر المريض العاري ليسمع ما يوحي أو ما يُشير له ترداد أو تكرار هذا الرقم ، فيعرف الطبيب اذا كان هذا الرجل مصاب في السل أم لا ! ولكن المسؤول الصحي قال له: يا عم أبو طارق سوف أرسلك الى الباحة السابعة فهناك دواء ، وأنت مشتبه بهذا المرض ...عليك العافية إن شاء الله ...وكنت من جملة من ودعه أثناء مغادرته للمهجع..........

5– **فقدان الذاكرة:** نتيجة الضرب على الرأس. الضرب على الرأس بالكرباج أو دج (ضرب) الرأس على الحيط أو بالرفس على رأس السجين وهو مستلقي على الأرض . فمنهم من يتعافى بفضل الله وبشكل تدريجي وتلقائي. ومنهم من أثرت عليه كثيراً، بالإضافة الى المعاناة القاسية والحياة الصعبة داخل السجن. فظهر لدى قليل جدا من الأشخاص شيء من الاضطراب النفسي. مثل أبو صالح من

صبيخان – دير الزور. بدون سابق إنذار، يقف فيبدأ يُلقي علينا خطابات بين الفينة والأخرى. ينهض واقفاً وبسرعة في وسط المهجع ثم يقوم بتوجيه خطاب حماسي الينا وعلامات الاضطراب والقلق والمرض واضحة على قسمات وجهه ونبرة صوته وتضارب مفرداته. ومنهم من أصبح مريضاً بما يُسمى إنفصام الشخصية (شيزوفرينينا) مثل : عبد الرزاق كريج من حماه وغيرهم. كان كريج دائماً يتخيل ويتصور ويؤشر بيديه وأحياناً بعض الناس تخاف من تأشيراته لأنه يؤشر بطريقة عصبية و انفعالية مما يثير مخاوف البعض. لذلك كثير من الناس كانت لا تجرؤ على النوم بجانب كريج. وقد نام بجانبي طويلاً فأشبعني إشارات وتأشيرات...

6– قلة الحركة في السجن وخاصة للمتقدمين في العمر، أصيبوا بأمراض مثل: **داء المفاصل التنكسي** ، أي يُصبح السجين غير قادر على الحركة وهذا ما حصل مثلاً مع المرحوم: نديم وتي من سلقين – محافظة إدلب ....

7– بالنسبة لي فقد ابتليت بمرض لم أعرف ما هو ولم يعرف المسؤول الصحي أيضاً ما هو هذا المرض. بشكل عام المسؤول الصحي في كل المهاجع يقوم بواجبه وبروح التطوع والمحبة فهو لا يتلق أي أجر على ذلك. إدارة السجن لا تُدخل الأدوية لنا حسب طلبات المسؤول الصحي بل تُدخل الدواء الذي تريده بصرف النظر عن حاجة المهجع ، مع العلم بأننا نحن من ندفع قيمة الدواء. في عام 1993-1994 في عز الشتاء (أربعينية الشتاء) كنت أصاب بمرض لا أستطيع فيه الحركة على الإطلاق. أكون واعي تماما وقواي العقلية كاملة لكن لا أستطيع الحركة البتة. وإذا أردت التحرك كان واحد من الشباب يحركني أو يدفشني أو يسندوني أكثر من 2-3 أشخاص. وكان الأخ: تيسير سماني بن كامل من حلب يساعدني دائماً ويبقى بجانبي طوال الوقت. جسمي يصبح قطعة واحدة ولا أستطيع القيام بأي حركة...فكنت أقول للمسؤول الصحي ما هذا المرض ؟ فيقول لي ...لا أعلم. لم يمر عليَّ هكذا مرض، لكن أظنه نوعاً من أنواع الروماتيزم بسبب البرد الشديد وضعف الأجسام نتيجة سوء التغذية بالإضافة الى الرطوبة العالية الموجودة في المهجع 8 . تستمر معي هذه الحالة بحدود 20 يوما ثم تزول تدريجياً من تلقاء نفسها بمعية الله وفضله. وبعد خروجي من السجن لم يطرق بابي هذا المرض على الإطلاق، والحمد لله.

8- في عام1991-1992 في مهجع 8 . بدأ **ضرسي** يؤلمني ألماً شديداً لا يُحتمل....فكنت أتألم منه آناء الليل وأطراف النهار...فشكوت ذلك الى المسؤول الصحي فقال لي: للأسف لا يوجد دواء ، وهو صادق فيما يقول. ما هو الحل يا دكتور، أجاب قائلاً وبهدوئه المعهود: إما بتصبر وبتتحمل الألم أو بدك تقلعوا. فصبرت قليلاً لكن لم استطع تحمل الألم فقررت قلع الضرس....لكن كيف سأقلعه...!؟ تخيل !؟...ثم تصور... رعاك الله ...!؟ ذهبت الى المهندس عبد اللطيف من مدينة إدلب (أخوه طبيب أسنان) فقلت له أريد أن أقلع ضرسي ...قال لي : خلص قررت ...قلت له. نعم، قررت وتوكلت على الله ...ما عدت أتحمل ....الأخ عبد اللطيف هو مهندس وليس طبيب أسنان لكن كان يجلس عند أخيه في عيادة الأسنان فأصبح لديه شيء من الخبرة على حسب زعمنا. قال لي : أحضر 3 أو 4 شباب معك، وأنا سوف أُحضر عِدَّة القلع. أحضرت 4 شباب من أصدقائي...ـ أما صديقي عبد الإله فقد هرب ولم يأتي معي ـ وأخذت مكان غير مكشوف من المهجع وآتى الباش مهندس ليقلع ضرسي: بماذا !؟ ...بالقصاصة ...في ذنب القصاصة (طرف قصاصة الأظافر) ...يا الهي ...!؟ بالقصاصة....نعم. طبعاً، لا توجد وسيلة أفضل من ذلك ؟

تشطحت على ظهري ...والشباب الأربعة : إثنين من اليمين وإثنين من اليسار وهم يمسكون برأسي وأكتافي حتى لا أتحرك وأنا أرفع أرجلي نحو الأعلى ثم أخبطهم نحو الأسفل كالطير المذبوح ... والباش مهندس يحفر لثتي ...يحفر لحمي في ذنب القصاصة لكي يقلع الضرس....وأنا أفرفح بينهم كطائر مذبوح بلا جناح... ورجلي ترتفع للأعلى ثم تخبط للأسفل من شدة الألم ..أفرفح بينهم فرفحة...وهو يقول لي ...أبو هادي طول بالك...أحاول أن أصرخ ... لكن لا أستطيع ... أحاول الوقوف ...أيضاً لا أستطيع ...فقط أرجلي ترتفع للأعلى ثم تخبط الى الأسفل وهم يحفر فمي بدنب القصاصة ...طول بالك ....خلصنا ...خلصنا ...هي طلع الضرس والحمد لله ......طَلَّع ...شوف الضرس ...الحمد لله ع السلامة...أشو خاي ! ...أشو خاي ......الحمد لله ع السلامة أبو هادي ...قوم حلينا ... الأمور سليمة ...ع التمام والحمد لله...في الحقيقة طلعت روحي حتى طلع هل الضرس ...! وما زالت طعمة الألم تحت أضراسي حتى الآن ....ولن أنسى تلك الواقعة ما حييت أبداً...واحتفظت بهذا الضرس ...وعندما خرجت من السجن ...وضعته في دكت السروال الداخلي (الشورت) وقلت سأخرجه معي ولو كلفني ما كلف....

9- في عام 1987-1989، طلب المسؤول الصحي لدينا في المهجع دواء للمريض: **أحمد المصطفى** من قرية تلجبين وهو رجل عمره تجاوز 55 عاماً، لكنهم رفضوا إحضار الدواء اللازم لهذا المريض. المسؤول الصحي طلب الدواء أكثر من مرة وقال لهم: نحن ندفع لكم قيمة الدواء فقاموا بشتم المسؤول الصحي بأبشع الكلمات النابية والجارحة و قالوا له على مسمعنا جميعاً : "متى ما مات دق الباب علينا " . وازداد وضع المريض سوء وتعقيداً. وكلما قال لهم المسؤول الصحي نحن بحاجة ماسة لدواء لهذا المريض قالوا له بكل وقاحة وحقارة وقلة إنسانية وضمير: "متى ما مات دق علينا الباب." لقد بقي أبو محمود يأن ويعن ويتأوه ويتوجع حتى انتقلت الروح الى بارئها ولم يحضروا له حبة دواء واحدة على الرغم من إلحاح المسؤول الصحي لشدة الحاجة الى دواء. لقد توفي أحمد المصطفى من تلجبين – حلب في مهجع 2/6 بدون تلقي أي علاج ، وكان معه في المهجع: إبنه محمود و إبن أخته حج عمر و ابن أخوه لقبه : بنزين وصديقه شكري أبو حسين (أحد شيوخ قبيلة النعيم وعمره أكثر من 60 سنة). تصور وتخيل ما هو إجرام هؤلاء...!؟ ما هي وحشية هؤلاء الجلادين ...؟! كم يحملون من الحقد...!؟ إنسان يبحث بين يديك كطير مذبوح من شدة الألم، ولا يًقدم له أي دواء مع كامل الاستطاعة لديهم لتقديم الدواء ...!؟ . " الهي عميت عين لا تراك عليها بصيرا " .

تأملات سجين:

1- كنت أحياناً أجلس بعد التنفس قليلاً وأقول لنفسي: ماذا تصنع السجانة بهؤلاء الناس ....؟! ماذا تصنع الحكومة بشعبها...!؟ أم نحن لسنا من الشعب ؟! حتى لو فرضنا كنا مخطئين ...هل حل المشكلة يكون بهذه الطريقة من التعذيب والترهيب....؟!

صدقاً، منذ تلك الفترة كنت أفكر وأتأمل ملياً وأنا في قلب المحنة والمعاناة والابتلاء أقول: ما هكذا ترد الإبل يا سعد ...!؟

2- أثناء التحقيق ...وفي السجن...المحقق يريد أن يُثبت تهمة عليك ولو كذباً ولو زيفاّ ولو زوراَ ...وبالحديد والنار يلزق لك تهمة لتروح بها إعدام أو تمضي العمر في غياهب السجن وبين القضبان...وهكذا يكتمل النخر في البلد حتى يُصبح عوداً يابساً بلا جذع ولا أغصان...ولا ثمر ولا فاكهة ولا رمان...ليست غاية المحقق: العدالة وسلامة الوطن وراحة الإنسان ...بل سلامة القائد وما يُمثله من زيف وحقد وبهتان...!؟

3- الإيثار:

لو تكلمت عن الإيثار لوجدته ماثلاً في كثير من سجناء تدمر. فيخرج شخصٌ مكان شخصٍ آخر الى باحة التعذيب والتنكيل ويلقى من الهوان ما يلقى حتى أنه يُعرض نفسه للموت. على سبيل المثال: يقول السجان : ولاك عرص......ولاك ....رئيس مهجع علملي (ضع علامة) على هل أخو...الشرمو...هداك الي لابس قميص أزرق أو جاكيت أسود أو مكلبية بنية ...وبكرى بشوفك ولاك ... الصبح ... بكرى بالتنفس . طبعاً ، أي شخص يتم تعليمه، ينام بصعوبة بالغة لأن أمامه مواجهة صعبة جداً ، فالسوط والجلاد ينتظرانه صباحاً على باب المهجع . والجلاد يقوم بتعليم الشخص (بوضع ملاحظة عليه وذلك بالكلام فقط لا أكثر ولا أقل ويقول له بكرى اذا ناديت وين المعَلمْ بتطلع أنت ولاك ابن....) ويتم تعليم أو التأشير على الشخص بدون أي سبب. يقوم السجان بذلك فقط لينفذ أوامر أسياده وليشبع الحقد والبغضاء والضغينة والطائفية التي تملأ شغاف قلبهم وبصرهم.

السيد: أحمد الحجي (رجل تجاوز الستين من العمر من دارة عزة – حلب وهو شرطي متقاعد، أحضروه الى السجن مع إثنين من أولاده : المهندس محمد وأخيه جمال وصهرهم أبو جهاد في قسم الجنائية بدمشق. جلبوا الى السجن هذا العجوز لأنه لم يُخبر أو يُفسد على ابنه محمد بأنه يريد الهروب خارج سوريا.

قال له المحقق: ليش ما خبرتنا عن إبنك بدو يهرب خارج البلد ؟!

فقال له أبو محمد : لك ما بتستحي على حالك !؟ حدا بيخبر عن إبنو....!؟ لك إنت ما بتستحي تحكي معي هل حكي ...!؟ العَّمى يضربكم اذا في عندكم شرف ...!؟

فنهض المحقق قائلاً . والله لأربي فيك تدمر يا إبن الشرمو....يا إبن ....وأرسله الى سجن تدمر مع إثنين من أبناءه ومع صهره .

في ليلة داكنة كالحة السواد، قام السجان في سجن تدمر بتعليم هذا الرجل المسن لأنه كان يجلس جلسة ظن السجان منها بأنه يقوم بأداء الصلاة، مع العلم أن أبو محمد كان يجلس ووجهه باتجاه الشمال

لكن السجان الفهيم أصرَّ على تعليمه لأنه ظن أنه يصلي. لكن سبحان الله قبل موعد التنفس الصباحي بدأت عناصر الاستشهاديين بالكلام مع رئيس المهجع للخروج بدلاً من أحمد الحجي الى ساحة التعذيب والتنكيل والسلخ. هم يؤثرون الخروج ليتلقوا التعذيب الشديد المميت بدلاً من أن يخرج أبو محمد " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " . صدقاً ...ما أبهى وما أحلى صورهم وأشكالهم ...! وهم يتسمون ويتنافسون على السباق لنيل مراتب الإيثار والتضحية و الفداء. يتنافسون على التضحية والبذل والعطاء ولا يأبهون لأي شيء آخر. يتنافسون على فعل الخير والإيثار في السراء والضراء.

ويختار رئيس المهجع من يختار ليخرج مكان أبو محمد إذا طلب السجان منه أن يخرج اليه: المعلم. مشهد وموقف تعجز الحروف عن وصفه ! عمالقة في دنيا الأقزام ...!طوبى لكم... وهنيئاً لكم أيها الفرسان في زمن الأوغاد والأندال ...؟! يؤثر أحمد الخروج بدلاً من أبو محمد (مع العلم أن أبو محمد لا يرضَ بذلك لكن يُصر الجميع عليه بأن لا يخرج الى ساحة التعذيب وسوف يخرج مكانه أحد المتطوعين الاستشهاديين). ويتم اختيار البطل المغوار : أحمد ليقوم بمهمة الإيثار والتضحية هذه، فيتلقى الخبر بصدر رحب وهو الذي راغم على الظفر بهذه المهمة . يُصلي الشاب : أحمد ما تيسر من سنة: صلاة الضحى وقضاء الحاجة ويقوم الأخرون بالدعاء له بالحفظ والسلامة. الله...الله...! كيف يخرج الإنسان مندفعاً ومتشوقاً الى حتفه والى شقاءه ...! لا...لا هذا ما تراه أعيننا نحن أهل الدنيا...أما هم فإنهم يرون ما لا نرى ...!؟

وقد تجلى الإيثار أيضاً في المأكل والمشرب والملبس. على الرغم من أن طعامنا ولباسنا قليل جداً فإن الإيثار يتجلى في أعلى صوره. السترة الواحدة يلبسها أكثر من شخص. فتجد بعض الأخوة لا يأكل حصته من الطعام بالكامل ويؤثر الباقين على تناولها. مثلاً في توزيع الدوسير: حصة الشخص أقلُّ من نصف تفاحة في اليوم وأحيانا يكون حز واحد فقط. هذا الجزء البسيط من الدوسير يقوم بالتصدق به على المرضى والمحتاجين أو على أفراد كتيبة الاستشهاديين الذين يُقدمون دماؤهم تضحية وفداء للآخرين.

الإيثار، التضحية، الشجاعة، المحبة، الصدق ...قيم ما بعدها قيم ، أخلاق ما بعدها أخلاق ...حاجة ضرورية ملحة في الحياة ... وأكثر إلحاحاً في الأزمات والمعتقلات ....! ويا ليتنا نحولها من كلمات الى حركات...!

4– معظم معتقلي سجن تدمر هم طلاب جامعة أو متخرجين من الجامعات، ومعظمهم أهل حسب ونسب وأخلاق...؟!

5– في المهاجع التي عشت فيها لم أر أحداً من قيادات الإخوان ...!؟

6– من أراد أن يُهرب أبو محي الدين خارج سوريا، هو من قام بتسليمه للمخابرات في نقطة اللقاء، ورماه خلف القضبان...؟!

7– من أحبط وأخبر عن محاولة الانقلاب للعميد حلاوة، هو من كان يصلي فيهم إماماً في البيت وفي الميدان...!؟

8– كانوا يقولون لنا نحن: جراثيم و صراصر وعملاء لصدام وعملاء ل ميشيل عون ؟! من هو ميشيل عون ؟ لا أحد يعرفه أو يعلم عنه شيئاً أو سمع به ، و دارت الأيام وعرفنا حقيقة من هم عملاء ميشيل عون ؟! أ نحن القابعون في الشتات والخيام ...؟! أم هم قاطنوا حي المهاجرين وأبي رمان ؟!

9– كمال: شاب من حماه ،كان موجود في الأردن وهو يعمل في ليبيا وبنفس الوقت هو مطلوب لدى المخابرات السورية. فأراد أن يسافر من مطار عمان – الأردن الى مطار طرابلس في ليبيا. ولكن أثناء تحليق الطائرة فوق الأجواء السورية حصلت مطبات هوائية وعواصف فقال لهم القبطان: إما سوف أسقط فوق البحر وإما سوف أضطر الى الهبوط في مطار دمشق ...فما كان منه الا أن هبطت الطائرة في مطار دمشق....فرحبت المخابرات السورية بقدوم أخينا كمال وأرسلته الى وراء القضبان ...!؟

10- أبو موسى (قصاب لحمة) كان كل تنفس ياكل قتله حشك ولبك كما يقولون. وكلما دخلنا المهجع يقول: أنا بستاهل ...أنا بستاهل هل قتل وهل الضرب....!!! أنا بستاهل ...!؟

فقلت له ذات مرة: ليش بتستاهل هل ضرب يا أبو موسى؟

فأجابني: أنا كنت مُخبر للحكومة ...أنا كنت مُفسد للمخابرات، لذلك أنا بستاهل هل قتل ...!؟ و بستاهل هل ضرب...!؟

هل زالت الغشاوة هنا وتفتحت الأبصار !؟

11- عندما كان يؤدي: الخدمة العسكرية الإلزامية ومعه مجموعة من زملاءه في القطعة العسكرية فقالوا لبعضهم إذا صار شي نحن ضد هل الحكومة... كلام عام وقالوه منذ سنين...لكن عندما سمعت به المخابرات بعد عدة سنوات اعتقلوا محمود وتار وبحدود 6-8 أشخاص معه...محمود وتار و محمد شحيبر تم اعدامهم...بينما بدر و زياد أتاسي تم حكمهم براءة !؟ محمود وتار، كانوا في فرع المخابرات يُضيفونه شاي وسيجارة ويقولوا له: إحكينا أبو دياب ...إحكينا ...وكان يتكلم لهم عن طيبة قلب ...واذا به وبأصدقائه يرمونهم في سجن تدمر ويُعلقونهم على المشانق و الحبال !؟

أبو بدر و زياد أتاسي وهما من نفس قضية محمود وتار بعد أن أمضيا سنيناً في سجن تدمر، وأثناء المحاكمة:

- قال القاضي ل زياد : شو دخلك في الإخوان ؟
- فأجاب زياد: يا سيدي أنا ما بعرف غير البطحة والرنش؟
- وسأل القاضي ل بدر : وأنت كمان شو دخلك في الإخوان؟

فأجاب بدر: يا سيدي أنا صلاة ما بعرف أصلي وفي حياتي ما دخلت جامع ؟ شلون بدو أصير -إخوان ...!؟

لاحظ ماذا حصل مع بدر وماذا جرى ل وتار ؟!

12- شاهدت شخصاً واحداً في حياتي خرج للإعدام، كّنا نقول له تشاهد، قلْ: لا إله الا الله - محمد رسول الله ...فلم ينطق بالشهادة وأنا كنت أبعد عنه بحدود ثلاثة أمتار ...!؟ فلم ينطق لا بشهادة ولا باستغفار ...!؟

13- أحمد بكري كعكة / أبو الوفا (وكان قسم من مقعده غير موجود ، كان محروقاً لأنه أثناء التحقيق وضعوا مقعده على السخانة الكهربائية المتجمرة والملتهبة فذاب قسماً من لحم مقعده، كما هو أخبرني). في إحدى الأمسيات سألت أبو الوفا (وكان عزيزاً على قلبي جداً وسميت مكتبي لتدريس اللغة الإنكليزية في تل رفعت باسم: مكتب الوفـا احتراما وإكراماً له) ما الذي جاء بك الى سوريا يا أبا الوفا وأنت كنت في العراق ثم في الأردن، ما الذي أتى بك الى هنا من هاتيك البلاد...؟!

فقال لي: والله ما دخلت سوريا الا امتثالا لقوله تعالى:

" الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم." (سورة آل عمران)

هذا أبو الوفـــا، فجئني بمثله إذا جمعتنا بك يا صاحبي المجامع...!؟

14- في إحدى السهرات في قبرص، كان قنصل سوريا السيد فواز الفواز/ أبو طارق من محافظة الرقة، كان موجوداً مع مجموعة من السفراء. أثناء السهرة جرت دردشة بينه وبين زميله السفير البريطاني، فأخرج السفير البريطاني قصاصة من الورق من جيبه وقال لأبي طارق ماذا تعرف عن هذين الشخصين:

- محمد سلمان – محافظ الرقة لسنيين طوال ومن ثم وزيراً ل الإعلام .
- أمين فرع الحزب في محافظة الرقة في ذلك الوقت (نسيت الاسم).

فأجاب أبو طارق: منذ فترة طويلة لم أنزل الى سوريا لذلك لا أعلم عنهما شيئاَ. سفير بريطانيا يسأل عن شخصين مسؤولين في محافظة الرقة، فما بالك بمن هو أعلى منهم مرتبة و مقاماً ؟! هل السؤال صدفة أم تخطيط يفوق الخيال ...؟!

15- كان معي ابن عم (عبد الحليم خدام – وزير الخارجية ونائب رئيس الجمهورية سابقا). وكان معنا أيضاً إبن عمة (مصطفى طلاس: وزير الدفاع سابقاً)، وكان معي إبن عم (مروان علبي أمين فرع الحزب لجامعة حلب ...). جميعهم لم يقدموا أي خدمة لأقربائهم، حتى ولا زيارة سجين.... ؟! بين الناس: هو يُسمى مسؤول، لكن في الإعراب هو مفعول...!؟

16- كان أبو أنس يقول: كل من يخرج من سجن تدمر مكتوب على ظهره إخوان !؟ شاء المرء أم أبى، ما عاد ينفع التبيان والبيان...!؟

17- في سجن تدمر، أنت ونائم تضع طماشة على عينيك...تأمل ما هذا الإجرام...!؟

- لا أحد في السجن أفتى بجواز ضرب السجانة أو مواجهتهم بالعنف مهما كان السبب ومهما **18**جئت بأدلة أو برهان...!؟

قال أسعد: سجن تدمر انحفر بدمائنا...!؟ كيف إنحفر يا أسعد !؟ والدماء تجري في عروقنا ولا **19**-تتوقف عن الجريان...؟

الحذر لا يُنجي من القدر.....!؟ ساعة القدر بيعمى البصر...!؟ أهذا تسليم أم بحاجة الى شرح **20**- وبيان...؟!

21- كان أبو صفوان دائماً يقول لأبي طارق: هل أنت جاهز ل لقاء الله.....؟! فيطرق صامتاً، ونحن نعلم بأن الصمت أحياناً أبلغ من الكلام....!؟

مأكولات سجن تدمر الشهيرة:

- " الخمخمينة " هل قرأت يوماً عن هذه الكلمة؟ وهل سمعت بها من قريب أو بعيد؟! هذه لفظة معناها: أنك تنزع عجينة (قلب) الصمونة العسكرية السورية وتُضيف اليها قليلاً من الماء ثم تعجنها قليلاً وتغطيها بقطعة قماش وتتركها حتى تتخمر من جديد. ثم تضعها في صحن بلاستيكي وترش عليها شيئاً من الملح – اذا وجد – كتوابل و مقبلات ثم نتناولها بخبز صمون يابس جاف أيضاً...هذا ما كنا نفعله في سجن تدمر لنسد به رمقنا بمزيد من اللقيمات.

- في الحقيقة أحب تناول حبة (ثمرة) الزيتون في الصباح ومنذ كنت صغيراً. ولازمني هذا الحب في حلّي وترحالي حتى شاءت الأقدار ودخلت سجن تدمر. لكن، هناك الزيتون قليل جداً فحصتك لا تتجاوز خمسة /5 / حبات زيتون حين يأتي ! لذلك لجأنا الى وضع عجو (قلب) حبة الزيتون في علبة أو مطربان بلاستيك (والذين يملكون مطربان أو علبة بلاستيك عددهم قليل جداً). ونترك الماء مع عجو الزيتون، مع إضافة قليل من الملح، لعدة أيام أو أكثر حتى يمتص الماء زيت الزيتون الموجود في العجوة فيصبح الماء طعمه ومذاقه مذاق الزيتون. وهنا نسكب قليلاً من ماء الزيوت في صحن بلاستيك و نبل الخبزة بلاً بالماء ونحن نردد ونُدندن : طعام العلماء، خبز وماء .

- عفيسة الحلاوة : شبيه بالخمخمينة لكن هذه لمن نفسه تهف ع الحلو. ولا يوجد حلو ! فما كان من هؤلاء الشباب الا أن يلبوا رغبة بعض المشتهين على الحلو. فيعجنوا قلب الصمونة أو خبز الفرن العادي ثم يأتوا بماء كالقطر يسكبونه فوق هذه العجينة. طبعاً، الشباب يقوموا بتذويب الحلاوة أو المربى بقليل من الماء ثم يسكبونه فوق العجينة، فتعطي طعم الحلو. هذا النوع من الحلوى يكون ضيافة لمن نفسه تهف على الحلوى أو تكون لديه رغبة لتناول البقلاوة أو شيئاً من الحلويات.

- صناعة الخل وتناول الخل ....و إمايّة (أم) الخل. شاهدت صناعة الخل وتناولت الخل كثيراً مع قليل من الخبز وأحياناً يُضيفونه لبعض الوجبات... عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " نعم الأدم، أو الإدام الخل " (رواه مسلم). كانوا يضعون الخل في مطربان صغير ...و ربما ، كل مجموعة طعام يكون أحد أفرادها لدية مطربان...وهذا المطربان له جنكل بلاستيك ونعلقه على الجدار في الشبكة التي قمنا بصناعتها من خيطان النايلون. أما أماية الخل فقد شاهدتها وهي سميكة (ثخينة) وكأنه لها رؤوس أو فقاعات تشبه عفن الخبز اليبسان. أما أبو الرشد المشرف العام على الخل وما لف لفه من أكل ومخلل وقشور يابسة من حلو وحامض و لفان ، فقد قال لي عن إماية الخل: هذه متل هبرة اللحم...بتتذكر

طعم هبرة اللحمة.....هي متل طعمة الهبرة....كِللكْ لقمة ...حاف ...بالخبزة ...على كيفك....بس حاف بتهريلك حلقك ...فقلت له: " إن نفسي تعافُه ". أما صاحبي أبو الرشد مشرف الخل والحمَّام: فقد كان أبو أصحمة يقول له دائماً: يا أبو الرشد لا تشتغل بربع ليرة وتصرف ليرة ...!؟ فيبتسم أبو الرشد مَليّاً وهو مسرع لقضاء حاجة ملهوف أو لسقاية كهل عطشان.

نعمة الإيمان

وتمضي الأيام والأسابيع والشهور والسنين ونحن وراء القضبان وبنفس المعاملة القاسية والشديدة والتي يندى لها الجبين وتشيب لهولها الولدان. لا نعرف شيء عن الأهل والأحباب والأصحاب وكأننا في عالم آخر، عالم من النسيان. الأوجاع والأسقام قد بدأت تنهش أجسامنا فأصبحنا كشجرة عارية، خاوية الا من الإيمان. وقد بلغ منا المرض والضعف والهزال مبلغاً، آلم الصغير قبل الكبير والشاب قبل المسن، وضاقت بنا الأحوال. وإذا سألت عن الحنين والشوق فلا تسعفني المفردات، ربما حارت فهربت ثم تلاشت في بحر من التنهدات والزفرات.... من منا يستطيع أن يبث شجونه وأحزانه وأشواقه ! لا أحد إلا وتسبقه الدموع والعبرات! راحت مرابعنا ...راحت روابينا ...راحت أحلامنا في بحر من الظلمات ...لكن بقيت الروح باسقة وشامخة شموخ الجبال الراسيات ...والأمل موجود برب معبود دان له الوجود ...فالنفوس أبيَّة، وبدينها رضيَّة، لا تنافق ولا تهادن ولا تساوم. فالهدف واضح وضوح الشمس، وأنصاف الحلول لأنصاف الرجال.

❖ في يوم من أيام 1994-1995 ، في مهجع 8 ، جاءت لجنة حكومية (أمنية) الى السجن من أجل لقاء بعض الشخصيات المعروفة علمياً واجتماعياً في السجن ومنهم كان صاحبي " أبو عبيدة " حفظه الله. أبو عبيدة هو رجل تجاوز الخمسين من العمر في ذلك الوقت وهو دكتور مهندس من قرية " خحوكة " في محافظة الحسكة. بالإضافة الى معلوماته العلمية والتقنية فقد كان أديباً قصصياً بارعاً وقد تفاجئت به كيف يروي القصص بدون دفتر ولا قلم وله حلقه أدبية متخصصة بهذا الشأن.أخي "أبو عبيدة" حفظه الله من كل شر وسوء ، كان من الناس القلائل الذين تمت دعوتهم لمقابلة تلك اللجنة وقد طلبوا منه إجراء مقابلة تلفزيونية على الشاشة الرسمية

يقوم فيها بطعن وتشويه وتجريح جماعة الإخوان وغيرهم مقابل خروجه من سجن تدمر العسكري والتوجه الى منتجع سجن صيدنايا (في تلك الأيام) أو إطلاق سراحه، أي ستكون مكافأته حسب رضاهم عن كلامه الذي سوف يلقيه على شاشة التلفاز.
على الرغم من أننا كنا نرى الموت عشرات المرات يومياً ، وعلى الرغم من أننا كنا نتمنى الموت أحياناً من شدة الابتلاء والمحنّة والتعذيب والسلخ والجلد ، وعلى الرغم من الجوع والحرمان والأسقام، على الرغم من كل هذا وذاك فقد رفض أخي " أبو عبيدة " ذلك الطلب رفضاً قاطعاً وبكل لباقة و دبلوماسية وحنّكة. عندما روى لي القصة، ختم حديثة لي قائلاً : " أرض التنازلات أرض زلقة." الله...! الله...! الله ! كم نحتاج لأمثالك يا أبو عبيدة هذه الأيام... ؟!

❖ في ثاني يوم من خروجي من السجن وأنا جالس في بيتنا، جاء أخي عبد الكريم/ أبو حاتم وقال لي:

المحامي إبراهيم الديبو يقول إنه من الأفضل أن نضع صورة الرئيس على باب الدار لأنه هو الذي أفرج عنكم ...!؟ وأخرجكم من السجن ...!؟ فنهضت على ركبتي من فجاءة الكلام وقلت له: حافظ الأسد: مجرم وقاتل وابن حرام...آلاف من الناس قام بشنقهم في سجن تدمر ...شلون بدي أحط صورة مجرم على باب دارنا !...مستحيل ....! أنا برجع مرة تانية على سجن تدمر وما بعلق صورة هل المجرم على باب دارنا....!؟ فقال لي أخي أبو حاتم: ما بيصير الا الي بدك إياه ...ما بيصير الا ما تريد ...وتابع قوله: الله ينتقم منهم ... مجرمون...وانتهى الأمر والحمد لله ، ولم اضع لا صورة ولا غيرها لا على باب الدار ولا جوى الدار. بل كنت أضع أية الكرسي في مكتبي و فوق رأسي (فوق السبورة مباشرة في مكتبي) أثناء إعطائي للدورات التعليمية الخاصة...وآيات الحمد والشكر تُزين الجدران....

الخروج من مهجع 8 :

في بداية شهر تشرين الثاني تقريباً من عام 1995 في المهجع 8 ، بدأ الرقيب وأحياناً السجانة يقرؤون أسماء كثيرة ويقولون: رئيس المهجع عندك هل الأسماء ولا ...؟! وبدأت الأسماء تزداد وتكثر وبدأ رئيس المهجع يُعيد ويُكرر الأسماء خلف الرقيب لأنها أصبحت كثيرة جداً. أحياناً يذيعوا (يقرؤوا) أسماء أشخاص موجودين من عندنا في المهجع. فيقول لهم الرقيب جهزوا حالكم ...لكن هذه التجهيزة غير تجهيزة الإعدامات ...فلأعداد كثيرة جداً ويقرؤون الأسماء علينا في الصباح والعصر والمساء والليل ...في كل الأوقات هناك قراءة أسماء وتخرج الناس من مهجعنا ومن مهاجع أخرى كثيرة. ما الأمر ...بدأنا نحلل التالي:

1- إما انتقال الى سجن صيدنايا

2- أو إخلاء سبيل ...إخلاء سبيل ...! معقول ...! معقول نطلع إخلاء سبيل ...! نحن نؤمن بالله، ونعلم أن الله على كل شيء قدير...وهذا أملنا بالله ...لكن فكرة إخلاء السبيل ...فكرة لم تستقر في أذهاننا بعد...! لم يتقبلها عقلنا بعد...!ربما إرهاق السنين ...وجوع السنيين ...وحنين السنيين ...وأنين الغيارى والمكلومين ...وظلم طال سنين قد أنسانا هذا النوع من التفكير ...لكن الأسماء هي أسماء أصدقائي ...والأشخاص تخرج من مهجعي وأراهم بأم عيني ...إذاً الخروج من هذا المهجع أصبح قريباً بمشيئة الله...وقراءة الأسماء مستمرة ...وخروج الناس من المهاجع يزداد يوماً بعد يوم...طبعاً ، كلما إنذاع أسم شخص : نركض اليه ونقول له: بتروح على أهلي...بتسلم عليهم...بتقول لهم ابنكم طيب ...ابنكم عايش...ابنكم بخير ...ابنكم بيسلم عليكم..... ونجهش بالبكاء... وكلما خرج إنسان ، نعمل مناحة بين فرحة وأحزان... كلنا بدأ يجهز نفسه للخروج من المهجع، بدأنا نستعد للطلعة....بس لوين ما منعرف ...!؟ قلت للشباب لن آخذ معي أي شيء (بالطبع لا يوجد لدي شيء ذو قيمة، لكنها كلمة تُقال) ...فقط بدل داخلي مع بشكيرة.

وفي صباح 1995/11/22 بين الساعة التاسعة صباحاً والعاشرة وأنا أصلي صلاة سنة الضحى في المكان غير المكشوف وكنت في الركعة الأخيرة من الصلاة، وإذا بإسمي يُذاع ويعلن عنه بين الأسماء ...والشباب ينادوا عليَّ...أبو هادي ...! ...أبو هادي ...! طِلِعْ اسمك ...! جهز حالك ...! كنت قد أنهيت الصلاة ...فأخدت كيس نايلون من أكياس الخبز و وضعت فيه بدل داخلي وبشكيرة

ووضعت" ضرسي المقلوع " في دكة السروال الداخلي(الشورت) وقلت في نفسي: سآخذ الضرس المقلوع ولو كلفني ما كلف حتى يبقى لدي ذكرى على مر السنين والأيام. وبدأت أودع الشباب وهم يركضون نحوي وأنا أتمسك بهم وأعناقهم، عناق مُودع لحبيب مُتيم، بالعناق والأحضان والدمعات كانت صفات آخر لقاء. وكانت عندي فرشة كناسة (طراحة) فقلت هذه الفرشة لك يا أبو طاهر: نجم الدين عبد الباقي – من محمبل – محافظة إدلب وركضت نحو باب المهجع خارجاً منه بحالة تعجز عن وصفها المفردات.

الخروج من سجن تدمر (الطالع مولود) :

خرجت من المهجع الى الباحة، تجمَّعنا في الباحة من مهاجع مختلفة وكنا نضع طماشات على عيوننا، بعد فترة ساعة أو ساعتين ونحن جالسين على الأرض نسأل بعضنا بهمس خفيف جداً : شو اسمك ؟ منين أنت ؟ طلع من مهجعكم إسم فلان...؟ وأنا سألت مين جنبي...!؟ فقال لي : عبد الرحمن جنيد ...! فقلت له: أنت أبو فارس من تل رفعت ...! فقال لي: نعم أبو فارس من تل رفعت ...فعرفته على نفسي حتى يطمئن ويستأنس ...ففرحنا لهذا اللقاء المفاجئ....هنا بدأت تغيب عن ذاكرتي بعض الوقائع واللقاءات...

أتى مدير السجن... (هكذا قالوا لاحقاً وذكروا اسمه: غازي الجهني)...تكلم كلاماً بالتهديد والوعيد ...ونحن جالسون على الأرض وعلى عيوننا طماشة ...خطب خطبة قصيرة جداً ....وتكلم ...لا أذكر من كلامه شيء سوى أنه ....ما بيفرق كلامه عن بقية كلام السجانة من السب والشتم واللعن والتهديد....وبعدها فقدت الوعي....لم أعرف ماذا جرى !...وماذا حصل ...! وكيف مشيت ...! أم إنتقلت...! أم طرت من الباحة الى داخل الباص ....لا أعلم ولا أتذكر أي شيء على الإطلاق ...كيف خرجت من السجن ...!؟ لا أذكر أي شيء على الإطلاق ...!؟ ....من الفرح...! ...من عدم التصديق...؟! من ...من...من...لا أعلم ولم أصحو...لكن شاهدت بناء أو عمار أو دور ولكن متل السراب ....طبعاً، أنا جسمياً سليم و ليس في شيء. لكن نفسياً كنت في عالم آخر تماماً يحتاج الى تفسير ممن يهتم بعلم الإنسان...لا أذكر أبداً كيف خرجت من باحة السجن وكيف وصلت الى الباص وكيفية الركوب في الباص، لا أذكر ذلك على الإطلاق !؟

بقيت هكذا حتى وصلنا الى مدينة دمشق....وبالتحديد ساحة العباسيين . هنا صحيت تماماً، فأنا أعرف دمشق جيداً فقد أمضيت فيها خدمة العسكرية الإجبارية وكنت مترجماً في قيادة الأركان. وشاهدت بعيني كيف الشرطة تقطع الطرقات حتى يمر هذا الموكب من الباصات القادمة من سجن تدمر ...والناس واقفة تتفرج على ركاب هذه الباصات ونحن نلوح لهم بإيدينا وجوارحنا وتخنقنا العبرات. عالق بذهني أنني عديت 25 باص كرنك في إحدى الباحات والتحويلات !؟ كيف ...لا أعلم لكن هذا في ذهني فهل كنت صاحياً أم خانتني المسرات...!؟ موكب الباصات يمشي والناس واقفة تتفرج علينا ونحن مندهشون دهشة الغرباء ! أشكالنا مميزة ...فنحن دائماً نحلق على الصفر ونحلق اللحية والشنبات ...وجوهنا صفراء ولباسنا مرقع وقديم ومعظمنا يلبس بيجامات رياضة أو بيجامات متعددة الألوان والتموجات. هنا، أنا واعي تماما وأعرف دمشق جيداً، وسارت بنا الباصات حتى وصلنا فرع المخابرات في كفر سوسة- دمشق ، الفرع الذي خرجت منه الى تدمر ...عدت اليه من تدمر والحمد لله....حتى الآن نحن غير متأكدين من إخلاء السبيل ونخاف أن يأخذونا الى سجن عدرا. وأدخلونا الى الفرع ...وبدأوا بإجراءات إدارية مع فرز للسجناء ....سجناء فرع الأمن العسكري على طرف...سجناء فرع الأمن السياسي على طرف ...سجناء فرع أمن الدولة على طرف آخر...وهكذا ...هنا سمعنا تقريباً معظم من كان موجود في هذه الدفعة....فسمعت اسم: المرحوم فيصل حجي و عبد الرحمن جنيد/ أبو فارس ....هنا أصبح لدينا أمل كبير بالخروج...وبعد فرز الأسماء أتى ضباط مخابرات برتب عالية قد خطبوا فينا خطاباً سياسياً موجهاً. وقالوا لنا هل معكم نقود (مصاري) آجار مواصلات للوصول الى أهليكم؟ فمعظمنا قال لا : وهذه هي الحقيقة فنحن لا نملك مالاً على الإطلاق. فقالوا من لديه نقود فليخرج ومن ليس عنده فليصبر....فصبرنا قليلاً ...وتندمنا وقلنا يا ليتنا خرجنا بلا مصرات...! وبعد فترة قصيرة أعطوا لكل فرد فينا 100 ليرة سورية وأخرجونا من سجن المخابرات....ويا فرحة ما بعدك فرحة ...! حتى ولا في المنامات...! خرجت من القفص...وشاهدت أنوار المنازل والشوارع وسمعت أصوات السيارات....فنحن 11 سنة مقطوعون عن العالم ...لا زيارة ولا خبر ولا نعلم أي شيء عن الأهل ولا عن الوطن ولا عن الإنسان ولا حتى عن الحيوان ....خرجنا مساء نزقزق فرحاً...وملأت وجوهنا الدمعات...دموع فرح تعجز عن وصفها المعاني والمفردات...خرجت أنا وأبو فارس ومعنا عدد كبير من الشباب...وأوقفنا سرفيس ...وقلت له على كراج العباسيين ...فشاهد ركاب السرفيس وجوهنا الهزيلة النحيلة والبيجامات المهترئة وأشكالنا الغريبة...فوجدوا مناظرنا غريبة في الشكل والبنيان...! فقالوا لنا باستغراب:

-إنتو وين كنتو ؟

- كنا في سجن تدمر ...وَحَلقْ طلعنا...

- فرحبوا بنا ترحيباً كبيراً .....ودفعوا عنّا إجرة السرفيس ...وواحد منهم أعطاني كامل كيس البرتقال

- لا ...يا أخي ...خذ البرتقال الى أولادك ...وأنا آخذ حبة واحدة ضيافة وهذا يكفي...

فكانوا شهماء وكرماء (و هذا ليس غريباً على أهل دمشق الأصليين) وحالوا إعطاءنا بإلحاح كل شيء بإيديهم.....في الحقيقة أهل السرفيس استقبلونا بحفاوة ليس بعدها حفاوة ...وعلمت بأن السنين لم تغير نظرة الناس الى سجناء أهل تدمر ، بل بقيت محل تقدير وإحترام...فأخذنا ضيافة من كل شخص منهم ما تيسر. في الحقيقة كنت مندهشاً ليس من ضيافتهم...! بل كنت فرحاً بمشاهدتي للإنسان الطبيعي العادي الذي يشبه الأنام...بشكله ولباسه وحركته الطبيعية العفوية....وحين وصلنا الى كراج العباسيين ...كان الكراج ممتلأ بسجناء أهل تدمر ...وكل واحد منّا يريد السفر الى مدينته. فتوجهت الباصات الى كل محافظات سوريا لأن عدد الذين أُطلق سراحهم كان عدداً كبيرا. كانت بعض عناصر المخابرات موجودة في الكراج ولاحظنا ذلك...وركبت في باص الهوب هوب، فطلب السائق آجار الطريق من دمشق الى حلب : 85 ليرة سورية وأنا معي 100 ليرة سورية فقط. وبعد دقائق، امتلئ الباص بالركاب أمثالي المسافرين الى حلب ....نحن هنا أحرار ...نستطيع أن نفتح عيوننا بلا طماشة...وننظر الى الأمام والخلف بآمان و اطمئنان...طبعاً حمدنا وشكرنا الله كثيراً على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى وصلينا على خير الأنام....

وانطلقنا متوجهين الى حلب ونحن نتكلم ونسأل ونجيب طوال الطريق ....مين طلع أسمه...؟ ومين ضل بالمهجع....ومين سمعت إسمه ...ومين استشهد عندكم آخر دفعة.... ومين كان معك من....!؟ والفرحة تملئ جوارحنا والابتسامة مرسومة على شفاهنا بفضل ورحمة ونعمة من خالق الأكوان.... وصلنا مدينة معرة النعمان...والمعرة مشهورة بالشعيبيات...فنزلنا نريد أن نشتري شعيبيات ...ولكن وجدنا الأسعار مرتفعة وليس معنا ثمن الشعيبيات ...فرجعنا الى الباص بدون تناول شعيبيات...وبعد الاستراحة ...تابع الباص طريقه نحو حلب وبدأت أنوارها تشعشع علينا من بعيد...وبدأ شباب حلب يفورون وكأنهم يقولون: هه...! هه...! هي حلب...!...حلب لها مكانة خاصة ...إيمان أهل حلب

.......إيمان كالجبال الراسيات لا تهزه الريح ولا تعكر صفوه الهفوات...وسجن تدمر يشهد لهم بالتضحية والفداء....وقبل النزول من الباص قال أحد الشباب الحلبية: يا شباب...بيتنا عند الكرة الأرضية وأنا وصلت لبيتنا ...تفضلوا يا شباب ...تفضلوا يا شباب....قبلنا دعوته....ليس الآن ...بل في القادمات من الأيام ...فأخرج ما في جيبه من نقود وقال يا شباب خذوها فما عاد لي بحاجة الى مصروف لقد وصلت البيت وأعطانا ما في جيبه من نقود و نكلات...بعد دقائق وصلنا الى مركز انطلاق الباصات في حلب ، وصلنا الى الكراج بحدود الساعة 1-2 ليلاً ....

يوم التخرج :

حسب معرفتي، فإن باص تل رفعت يقف في القسم الجنوبي الغربي من الكراج...ذهبت الى هناك فلم أجد أثر لذلك. فسألت أحد عمال المطاعم في الكراج، أين تقف باصات تل رفعت هذه الأيام ؟ فأشار لي الى الطرف الشرقي من الكراج...ذهبت الى هناك...فلم أجد أحداً على الإطلاق ...فتشت ودورت في المكان جيداً فلم أجد ما أصبو اليه ...والأمطار غزيرة جداً ...طوفان من الماء ....طبعاً، أنا وصاحبي أبي فراس لا نملك الا قليلاً من المال، مبلغ لا يتجاوز100 (مائة) ليرة سورية. وبعد المشاورة فيما بيننا هل نذهب الى فندق أم نأخذ تكسي ونذهب الى القرية !؟ قررنا أن نأخذ تكسي وكنت أعرف سابقاً أن آجار التكسي من حلب الى تل رفعت هو 35 ليرة سورية...فأوقفنا تكسي ...وقلنا له ...نريد الذهاب الى تل رفعت ...كم تريد ...فقال : 500 ليرة سورية ...فقلنا لبعضنا هذا سكران...! ثم أوقفنا غيره ....فقال لنا 600 ليرة سورية فقلنا هذا أيضاً سكران...ولما أكد الثالث بأن الأجرة 500 ل. س عرفنا أننا أصبحنا في عالم آخر، فأنا لم أتعامل منذ 11 سنة لا بالليرة ولا بالدولار وقلت لأخي وصاحبي العزيز أبو فارس: لقد صار فينا مثل أصحاب الكهف !؟ وفعلاً ، آثار السجن واضحة علينا ، من حلاقة الصفر الى الملابس الى شكل البشرة .....فأشار الينا بعض السائقين أن نأخذ سيارة سرفيس فهي أرخص وبعد أخذ ورد مع أكثر من سائق وشرح من طرفنا أننا لا نملك نقود وأننا سوف نعطيه الأجرة حال وصولنا الى القرية...أوقفنا سرفيس فقال لنا:....

- إنتو وين كنتو ؟
- في سجن تدمر ...
- أهلا وسهلا بالشباب ...
- بتعرفوا نجم الدين عبد الباقي ؟
- بعرفوا ....أبو طاهر ...كان اليوم معي في المهجع 8 وهو من محمبل – إدلب ...

فنزل من السيارة وحضنني وبدأ يعانقني ويقول لي هذا أبن عمي ...هذا متل أخوي ...يعني هو طيب ...ما هو ميت ...! يعني هو طيب ...! ما هو ميت ...! لا تاكل همْ...والله هو حي يرزق ...و تركت له طراحة صغيرة.... وقد تركته في المهجع 8 اليوم بحدود الساعة العاشرة صباحاً ...ففرح فرحاً لا يوصف ...فقلت له: ما معنا مصاري و هونيك منعطيك الأجرة بمشيئة الله ....فقال لي : ماني سائل على شي ...وقال لمن معه في السيارة...إنزلوا ...خدوا سيارة على البيت وأنا طالع أودي الشباب ع تل رفعت...(وأظن كان أخوته وزوجته في السيارة ...).

في تلك اللحظات، لم أكن في وضع يسمح لي بحفظ الأسماء وغيرها ...مع العلم أنني قد تخرجت لتوه من جامعة سجن تدمر...جامعة بكل المقاييس والمعايير ...لكن شهادتها مكتوبة بالدماء والأشلاء ...فهناك محاضرات عملية وهناك محاضرات نظرية ...وبينهما تناغم و وحدة و إنسجام.....لكن بالرغم من كل هذا وذاك ، فقد أنستني البهجة والدهشة اسم ذلك الشاب النبيل لكن أذكر بأنه قريب لأبي طاهر. و إنطلق السرفيس بنا الى جهة الشمال ...الى جهة الحبيبة الغالية ...بلدتي: تل رفعت ...عبق الآباء والأجداد ...والتاريخ والعراقة والأخلاق .... إنطلق السائق بسرعة فائقة...بسرعة البرق ...وصدقوني فرح السائق أكثر منا ...وكاد أن يهورنا من شدة السرعة ...وأنا أقول له...رجاءَ خفف السرعة ...أهم شيء نصل بخير وسلامة...وبدأت أتكلم مع صاحبي أبي فارس ...أين سوف ننزل ...وين رح نروح ...لا نعلم أين سوف ننزل من السرفيس ...وأين سوف نطلب منه الوقوف ...؟!

أنا منذ 11 سنة لا أعلم عن أهلي شيء !؟ ...لا من هو ميت... ولا من هو طيب ...ولا عن إخوتي ...ولا ماذا يعملون...ولا عن أقاربي ...ولا عن أصدقائي ...وأخي أبو فارس نفس الشيء ومنذ 15 عاماً ...نحن لا نعلم شيء عن العالم الخارجي ...كُنا في تدمر معزولين عن العالم الخارجي نهائياً ....لكن في إحدى المرات شاهدت والدي (عليه رحمة الله ورضوانه) بالرؤيا وجرى الحديث التالي بيننا:

- يا إبني ، الناس تقول لي، أنت دَرَّستْ وعلمت ابنك وليد وصرفت عليه مصاري كتير حتى تخرج من الجامعة ...وحلق شوف: ابنك ما فادك شي أبداً ...!؟
- فقلت لأبي: يا يوب إسمع ما يقول الله سبحانه وتعالى " قلْ بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون "   (سورة يونس).
- ف إبتسم والدي وقال: صدق الله العظيم يا بني ...هادا هو الكلام الصح ...الله يحفظك ويرضى عليك يا إبني ...ثم غادرني أبي راضياً وعلامات السعادة والتسليم ترتسم على محياه الجميل والفريد...فريدٌ في المبنى ...وفريد في المعنى...

لقاء الوالدة (عليها رحمة الله ورضوانه) :

وبعد جهد جهيد توصلت مع صاحبي أبي فارس الى حل مشترك وهو أن ننزل اولاً ، عند خالي: يوسف صالح بربوري (عليه رحمة الله) فهو خالي، وهو زوج أخته لأبي فارس، وهو والد أخينا: صالح في السجن وقلنا نبشره أيضا بأن صالح سوف يخرج بمشيئة الله لأن الأسماء المذاعة كانت كثيرة....طبعاً معالم القرية تغيرت قليلاً ، لكن على مثلي لا تمشي التغيرات...وبدأت أعطي تأشيرات للسائق حتى وصلنا الى دوار الطاحون فقلت له على اليمين ...دغري ...سيوي ... والسائق يريد أن يُفجر سكون الليل بالزمامير...والأصوات العالية ...فقلت لا داعي لذلك ...فما زال وراءنا ناس بالسجن...تحتاج الى دعوات...هنا ...رجاءً توقف هنا ...وصلنا...انتظرنا، حتى نتأكد من البيت فربما بيت خالي غيروا أو بدلوا دارهم !...نحن لا نعلم شيء ...فقرعنا باب دار بيت خالي يوسف وكانت الساعة بحدود الثالثة ليلاً ...فخرج الينا شاب ...وقال من أنتم ...فقلت له : أنا ابن عمتك ساره ...وقال له صاحبي: أنا خالك عبد الرحمن ...فاندهش الشاب ملياً ...ولم يكن هذا خاطراً على باله أو في الحسبان ...رجعت الى السائق مباشرة وأخبرته بأن هذه دار بيت خالتي تماماً. وطلبت منه النزول وبإلحاح فالجو مطر غزير وطوفان ، لكنه اعتذر عن الدخول وقال لي : الوقت غير مناسب وآجار الطريق هو لك مني حلوان...وانطلق مغادراً ديارنا وقد ترك بصمة طيبة على مر الأجيال والأزمان.

توقف ابن خالي قليلاً، وعرك عيونه قليلاً ...وكأنه في منام ...فقلت ما اسمك ؟ قال: مروان ....قلت له: أين خالي فقال : الكل نيام. كانت ليلة غزيرة الهطول وكأنها طوفان...

فقلت له أيقظ خالي وخذ لنا طريق.... بعد دقيقة... قال تفضلوا..فدخلنا ...وسألنا أين غالب ...؟ أين خالي ....و كبيرة البنات عرفت خالها عبد الرحمن....فقالت لمروان: هذا خالي عبد الرحمن ، وهذا وليد ابن عمتي ساره ...فاطمئن مروان وشعر بالرضى والآمان. فاطمئنوا وانشرحت صدورهم بأننا أقرباءهم ولسنا من عبيد الكرسي والدرهم والدولار....في هذه اللحظات أتى خالي وزوجة خالي ...وبدأت دموع الفرح تمتزج مع دموع الحزن... دموع الأمل بخروج صالح من السجن...وبين دمعة جارية...ودمعة ممسوحة ...ودمعة أمل وبهجة...شعرت وكأن البيت يتلألأ....فالكل فرحان ...فرحان بقدومنا...فرحان...بعودتنا...فرحان بكرم الله ومن هذا البيت الكريم كانت نصيبي " أم الأولاد".

فسألتهم عن أهلي وماذا جرى لهم ...فقال لي: عمتي كانت سهرانه عندنا اليوم حتى 11 مساءً ثم ذهبت والآن أرسلنا عزو (عبد العزيز) ليحضرها ...واذا بها تقرع الباب ...فلما رأيت أمي طار عقلي...وركضت عليها أقبل الأقدام ...ليس الأيدي ...بل الأقدام ولا أشبع من تقبيلها ...وهي تقول لي : وليد ...! إبني ...أنا ..ما بي مصدقه ...انت وليد...وأنا أقبل أقدامها ...وهي تقول: وليد... وليد ...أنا ..مابي مصدقة ...إنت وليد...فقالت لي : وقف (قف) على حيلك...حتى أشوف ...فوقفت على ركبي ...ورفعت لها يدي وقلت لها.... شوفي ...ما فيني شي! ...شوفي ما فيني شي ...! لكنها قالت لي: لا ...(وكأنها ظنت بأنني عاجز !) لا ...لا...وقف على حيلك ...على طولك...فعندما وقفت على حيللي (طولي) ....قالت لي : حلق (الأن) إنت وليد...! حلق أنت وليد...! وحضنتني بدفء وعمق الأمومة بعد غياب ...سألتها عن والدي الغالي ...فقالت لي: هو نائم ....أمضينا وقتاً من عالم آخر ...في عالم آخر ...تعجز عن وصفه المفردات ...ثم ذهبت مع أمي الى بيتنا مسافة 20 م، دخلت على بيتنا العتيق، ع : القبو ...فشممت منه رائحة عطرة ، لا أبهى منها ولا أجمل ولا أغلى منها ولا أنضر ، واذا بأخي أبو حاتم وعائلته أمامي وهم لا يصدقون بأنني موجود بينهم... وأنا أعجز عن الوصف والبيان ...تعانقنا عناق أخوة الدم والإيمان. وفي زحمة من المشاعر والعواطف، استيقظ أخي الغالي مرشد/ أبو صخر وتعانقنا وبكينا بكاء فرح بعد حزن قد زال بفضل الرحمن.......

ونحن نتجاذب أطراف حديث ودي عالي الجودة في الزمان والمكان، أشم منه رائحة الدفء والمحبة والحنان، إذ بأخي مرشد أثناء حديثه يقول: كان أبوي الله يرحمه....فقلت مندهشاً ماذا: الله يرحمه !؟...ليش أبوي ميت ....!؟ فأخبروني والدموع تسيل من العيون أن أبي قد مات...قد توفي ... منذ تسع سنين مضت ....بعد أداء الحج ...وكان يتمسك بأستار الكعبة ويَلجُّ في الدعاء: اللهم طالع وليد...اللهم طالع وليد من السجن...! اللهم طالع وليد...! وبعد انتقال الروح الى بارئها، تم دفن جسمانه الطيب بأرض البقيع ...أرض رسول الله وصحابته الكرام.....أرض الصالحين والأتقياء. لكن بعد سماعي لوفاة أبي عليه رحمة الله ورضوانه، هربت مني كل المفردات ...نعم... هربت مني كل المفردات.

- انتهت -